المقدمة

كانت الحياة وردِّية اللَّون حتى حدث ما جعلها تتحوَّل لقتامـة الأسود، حيث كل شيء تغير في ثوانٍ فقط؛ لِتنقلب حياتي رأسًا على عقب!..

بدأتُ أرى حياتي سوداوية وكل الحُزن بقلبي يتراكم مُخزنًا، وليس بمقدرتِـي إنتزاعه، فبكل مرة كان الأمر يزدادُ سوءًا ويتمَكَّن مني البؤسِ والألم، وتمرّ الصِعاب واحدًا تلو الآخر وتتكاثر العثرات.

ولكني كُنت أواجه لِأحيا، فهذه سُنة الحياة تُفقدك مَن تُحب وتُبقيك وحيدًا، ورُغم كل هذا لا يجب أن نتوقف عن المواجهة والابتسام في وجه الصِعاب.

انبثقت من ذلك المَرسم الصغير الذي كان خصيصًا لها لِتصعد إلى السيارة التي تنتظرها أمامه، جلست على الأريكة الخلفية مُبتسمة ببشاشة لوالديها اللذان بادلها نفس الابتسامة حتى نبست بمشاكسة:
"وبعدين يا دارش كل ده عشان تجيب الولية دي من البيت وأنا أفضل مرزوعة هنا بقالي ساعة مستنية!".

ردت جميلة بحدة مصطنعة:
"ايه وليه دي يا بت وربنا أنتِ مشوفتيش تربية".

أشاحت تلك الفتاة التي تُدعى فيروز:
"في ايه يا جميلة مالك!!".

أردف مصطفى من بين ضحكاته:
"خلاص خلاص اهدي أنتِ وهي، كنت عايز أقولك على حاجه هتبسطك".

نظرت له باهتمام وحماس:

"قول يا دارش".

نظر لها شرزًا مُبتسمًا:
"هنسافر القاهرة آخر الاسبوع".

سقطت ابتسامتها عندما ألقى بكلماته لِتتذكر أهم شيء كانت تتهرب منه هُناك، لِتُلاحظ جميلة تغير تعبيرات وجهها لِتقول:
"مالك يا حبيبتي مش مبسوطة ولا ايه؟!".

فابتسمت بسرعة تُخفي خوفها قائلة:
"لا مبسوطة جدًا بس ممكن معتز وفريدة يجيوا معنا؟".

أومئ مصطفى لها ثم استدار برأسه قليلًا لها لِيبُث الشجاعة بها:
"متخافيش يا حبيبتي".

لِتصرخ جميلة فجأة بفزع:
"حـــاســـب يا مصطفى!!".

وكانت تلك هي آخر جملة سمعها ثلاثتهم لِتتصدم

السيارة بشاحنة ضخمة وتنقلب السيارة عدة مرات حتى وقفت على إحدى جانبِها.

فتحت أعيُنها بوهن مُحاولة مقاومة الضوء الكثيف الموجه على أعيُنها فكان من الطبيبة التي تطمئن على حالتها بعدما علمت أنها فاقت، أبعدت المصباح الصغير من أمام أعيُنها مُبتسمة بود:
"حمدالله على سلامتك يا جميل اهدي كده لأنك محتاجة راحة وأنا هكتب لك على مسكنات عشان أكيد الحادثة لسه أثر جامدة عليكِ".

اعتدلت في جلستها بضعف لِتتفاجأ من الذين يجلسون حولها فقد كان بعض من أفراد عائلتها وبجانبها فريدة تبكي بهدوء على ما يحدُث، نظرت لهم بجهل غير مُدركة ما الذي حدث قبل قليل لِتتساءل بصوت مبحوح:
"هو ايه اللي حصل؟! أنا مش فاكرة حاجه غير إني كنت مع بابا وماما في العربية".

ربتت فريدة على كتفها برفق، لِتُجيب زوجة عمها بحزن:
"أنتوا عملتوا حادثة يا حبيبتي وكنتِ في غيبوبة بقالك أسبوعين".

اتسعت عيونها بصدمة مما سمعته للتو غير مُصدقة فنطقت بصعوبة مرة أخرى:
"طـ.. طب بابا وماما فين؟!".

صمت عَم بالغرفة بأكملها فلم يقدر أحد على مُصارحتها بما حدث في ذلك اليوم المشئوم لِتُعيد سؤالها ثانيًا:
"بابا وماما فين يا عمو!!".

رمقها بحزن والخيبات تكتسيه لا يعرف كيف سيقول هذا لها، فتحدث بعد ثوانٍ ببعض من الثبات:
"شدي حيلك يا حبيبتي هما أكيد في مكان أحسن دلوقتي".

زوت ما بين حاجبيها مُحاولة أدراك ما يقوله، مُكذبة كل الأفكار التي ملئت عقلها لِتهُز رأسها بقوة تنفض كل تلك السيناريوهات التي هاجمتها فجأةً:
"يعني ايه يا عمو بابا وماما فين أنت أكيد بتهزر صح!! هما قالوا لك تعمل كده صح! هما بيحبوا يهزروا كده معايا .. بابا وماما فين يا عمو!!".

عانقتها فريدة بقوة مُحاولة كبح دموعها بصعوبة، فقالت زوجة عمها:

"ربنا يرحمهم ويغفر لهم هما دلوقتي في مكان أحسن بكتير من هنا".

نظرت لأخر الغرفة لِتجد معتز يقف والدموع تنهمر على وجنتيه بحرقة لِيرتفع صوتها غير مُصدقة:
"بابا وماما فين يا معتز!! مش هما وعدوني أنا وأنت وفريدة أنهم مش هيسيبونا صح! أكيد مش هيسيبوني لوحدي ... لا لا ده أنا ما شوفتهمش يا فريدة ..طب كنت شوفتهم لآخر مرة طيب!".

أمسكت بيد زوجة عمها بقوة لِتبكي بنحيب خافت شاعرة بنغزات في قلبها تعتصرها بألم ثم رفعت رأسها وأردفت بنبرة شقت قلوب كل من سمعها:
"كان نفسي أشوفهم طيب قبل ما يمشوا ... هعيش من غيرهم ازاي!!".

صرخت بأعلى صوتها مُحاولة أخراج كل الحزن الذي بقلبها:
"كانوا خدوني معاهم .. ياريتهم كانوا خدوني معاهم أنا عايزة أروح معاهم مش هقدر أعيش من غيرهم".

وهُنا دخلت في حالة هيستريا من النحيب والصراخ

لِتأتي الطبيبة على صوتها تحقنها بمهدئ حتى سكنت بين أحضان فريدة والدموع مازالت على وجنتيها.

★★★★★

كانت تجلس على فراشها شاردة الذهن تنظر أمامها للاشيء تمُر الساعات دون أن تشعر بمُروره ويحُل الليل بوحشيته لِتتالى الذكريات بمُخليتها وتُهاجمها بعُنف لِتُذكرها بكل ما عاشته مع والديها حتى ترجع لِنحيبها للمرة الذي لا تعلم عددها فهي على هذا الحال مُنذ أسبوع من إفاقتها، دخلت فريدة للغرفة بهدوء حاملة صحن الطعام، فجلست بجانبها ووضعت الصحن أمامها على الفراش وربتت على ظهرها ثم أردفت:
"يلا يا حبيبتي عشان تاكلي".

أبعدت يدها عن جسدها برفق مُبتعدة قليلًا عنها ثم نبست:
"ماليش نفس يا فريدة مش عايزة اكل".

تحدثت بلوم ممزوجٍ بحزن دفين:
"يا حبيبتي أنتِ بقالك أسبوع كده ولا بتاكلي ولا بتشربي ولا حتى بتخرجي من الاوضة".

تهاوت بنفسها بين ذراعيها وانسابت الدموع على وجنتيها بهدوء ولم تتفوهة بحرفٍ واحد، فشددت فريدة من عناقها لها وبدأت هي أيضًا بالنحيب، فهي كانت تعتبرهما والديها وهي ابنتهم الثانية مثل فيروز فكانت لا تُفراقها يومًا، موتهم ترك أثر كبير بداخلها جرح لن يلتئم، وثقبٌ لا يُمكن سده ولكن تتظاهر فقط بالقوة أمام فيروز حتى لا تسوء حالتها أكثر، قاطع ذلك الهدوء المُريب الذي لا يخلو من النحيب صوت طرقاتٌ على الباب لِيدخل بعدها معتز مُقدمًا نحو الفراش الذي يتوسط الغرفة مُقتربًا من فيروز لِيزداد بُكائها بين أحضانه، أخذ يُمسد على شعرها ويمسح بكفه برفق عليه حتى هدأت قليلًا ثم رفعت رأسها من بين ذراعيه حتى تقابل وجهه بوجهها قائلة:
"ممكن أروح أزورهم النهارده؟!".

مسح بقايا الدموع العالقة على وجنتيها وأردف بتأكيد:
"طبعًا يا حبيبي، بس هطلب طلب صغنن خالص".

مُشيرًا بسبابته وابهامه على مدى صُغر ما يود طلبه، لِتقول بتوجس وتساءُل:
"صغنن خالص؟".

هز رأسه تأكيدًا ثم سحب الصحن الموضوع على الفراش مُقربًا إياها:
"تخلصي الأكل ده كله عشان نروح".

نظرت للطعام بضعف لِتتوجه بنظرها له ببراءة فهتف هو بحدة مُصطنعة:
"خلاص أنا خد القرار تاكلي الأكل ده كله وهنروح، يلا يلا".

وأمسك بالملعقة وملأها بحبات الأرز ثم رفعها ناحية فمها ففتحت هي فمها بالمُقابل عنوة ولوكته ببطء، حتى انتهت منه كله.

تفوه معتز بابتسامة:
"بالهنا والشفا يا حبيبتي يلا قومي البسي مستنيكي".

هرولت بسرعة واندفاع كأنها ستراهم على قيد الحياة، بينما اقتربت منه فريدة التي كانت تُتابع ما حدث من البداية، فتبسمت بقليل من الفرحة على حالتها التي تتبدل وهو معها:
"ربنا يديمك في حياتنا يا حبيبي وتفضل دايمًا جنبنا".

حاوط رأسها بذراعه وقبل جبينها ثم هتف بصوت خفيض ممزوج بألم صدر منه:
"فريدة عايز أقولك على حاجة مهمة".

زوت ما بين حاجبيه بشك حين شعرت بتغير في نبرة صوته لِتتساءل:
"في ايه، حصل حاجه ولا ايه؟!".

مسح على وجنتها بأصبعه برفق وقال مُطمئنًا:
"لا مفيش بس يعني ...بابا جاي النهارده".

جلى على وجهها التشنج والضيق مما ألقاه على مسامعها للتو:
"وده ايه اللي جايبه وجاي يعمل ايه هنا!".

سكت ثوانٍ ثم أردف كأنه كان يُفكر بعلته التي ينوي المجيء لهَا:
"هو جاي عشان فيروز عايز يتكلم معها مش عايزة تظهري أنتِ خليكِ في اوضتك وأنا هقوله أنك مش موجودة لو مش عايزه تقابليه مش هجبرك على مُقابلته'.
زفرت بحنق قائلة:

"مش عايزه اشوفه ولا أقابله وأنت قولت أهو جاي عشان فيروز".

مسح على شعرها ونهض:
"خلاص اللي أنتِ عايزها، قولي لـ فيروز أني مستنيها في العربية".

★★★★★

كانت تجلس أمام أحد المقابر بس أنا استقلها معتز بالسيارة إلى هُناك، كانت تجلس كمَن خسر معركة للتو، خسر معركته، سيفه، أحبائه، حتى نفسه خسرها تجثو على ركبتيها تُعلن انهزامها وترفع راية الاستسلام ولا يوجد شيء بيدها تفعله الآن غير الدُعاء ذلك هو كل ما تملكه فقط، كانت عبراتها تُشبه السيول في سرعتها حتى نبست من بين شهقاتها المكتومة:
"وحشتوني اوي، مش قولتلكوا مش هعرف أعيش من غيركوا ..مش عارفه اتاقلم على فراقكم بجد حاسة اني زي السمكة اللي طلعت على الشط لا منها عارفه ترجع البحر ولا أنها عارفة تعيش على الشط، لا واخسركوا أنتوا الاتنين مرة واحدة! أكيد ربنا عنده حكمة في كده وعارف إني هبقى قد البلاء ده بس والله أنا مش قده ولا قادرة استحمل ..بس أكيد مش هتغيبوا عن بالي لحظة

هفضل فاكرة كلامك يا بابا ونصايحك هفضل فاكرة يا ماما أنك مهما قاسيتي عليا كان ده كله عشان مصلحتي وأنك مكنتيش مُجرد أم بس أنتِ كنتِ أختي وصاحبتي، هتوحشوني ...سلام".

تركت باقة الورود التي كانت تطوقها بذراعها على إحدى الأحجار واتجهت لِمعتز التي كانت يشاهدها بصمت عن بُعد ويقرأ لهم الفاتحة بنبرة تعمق الحزن بداخلها حتى ارتجلَا لداخل السيارة وعم السكوت بأرجاء السيارة فكانت تلك المرة الأولى التي يحدث بها هكذا فلقد كان المكان الذي يجتمعَا بهِ فيروز ومعتز كان لا يخلو من الضوضاء والإزعاج الذي يمتلئ بهِ وعلى غير المعهود كان الصمت هو سيد الموقف الآن، حتى حمحم معتز قاطعًا هذا الصمت المُهيب قائلًا:
"فيرو كنت عايز أقولك على حاجه".

جذب انتباها بعدما سمعت اسمها الخاص:
"نعم يا معتز".

حمحم مُجددًا كأنه يُزيل غصة عالقة بحلقه ثم قال بهدوء:
"بابا جاي النهارده عشان كان عايز يتكلم معاكِ".

_ "قولت لـ فريدة؟!".

هز رأسه بالموافقة ثم تحدث وهو يُركز بالطريق أمامه:
"قولت لها ولما عرفت أنه هيقابلك أنتِ قالت أنها مش عايزه تشوفه".

_ "هيجي امتى؟".

نظر لساعته سريعًا ثم صب تركيزه كله بالقيادة قائلٍ:
"كلها ساعة ويبقى في البيت فعشان كده لازم نكون هناك قبله عشان فريدة".

أومأت برأسها بتفهم ونظرت للنافذة تتأمل ما يحدُث خارجها شاردة الذهن، لِتنطق فجأةً:
"معتز هو ايه اللي حصل في الأسبوعين اللي دخلت فيهم غيبوبة".

حمحم بحرج وحزن دفين مُتكلمًا:
"العربية بعد الحادثة مكنش باين ليها ملامح عمو عقبال ما وصل المستشفى كان مات لأنه كان الأقرب لقوة الصدمة بين العربية بتاعتكوا والعربية الكبيرة، ماما

جميلة فضلت ٥ أيام في العناية المُركزة وكان كل يوم حالتها بتسوء عن اليوم اللي قبله لحد ما راحت لعمو هي كمان، أما أنتِ كنتِ في غيبوبة من أول ما خرجتِ من العربية وكل الدكاترة قالوا أن غيبوبتك ممكن تطول لسنين كمان بس الحمدلله أنك فوقتِ بعدها بأسبوعين بس".

امتلأت أعيُنها بالعبرات مُتأثرة بما قاله تُفكر في كم المُعاناة التي عاشتها والدتها في تلك الفترة ثم تساءلت: "والراجل اللي كان في العربية اللي خبطتنا حصله ايه؟!".

_ "محدش يعرف عنه حاجه خبط العربية واختفى حتى أرقام العربية معرفناش نوصلها ودلوقتي أنا متابع مع الظابط بس مفيش أي جديد".

_"تفتكر اللي عمل كده قاصد؟!".

_ "مظنش يا فيروز عمو مصطفى عمره ما كان وحش مع حد عشان يبقى في شخص عايز ينتقم منه بالطريقة دي ممكن اللي عمل كده خاف من البوليس وعشان كده هرب".

_ "بس ده كده بيثبت التُهمة عليه أكتر وأنه هو اللي عاملها!".

_ "ربنا يسامحه بقى".

_ "اه صح بالنسبة للوصية بتاعت عمو، هو مع محامي العيلة فالقاهرة".

_ "لازم نروح؟!".

_ "طبعًا يا حبيبي لازم كل الوارثين يبقوا موجودين وقت فتح الوصية وأنتِ الوريثة الوحيدة لعمو، أنا عارف بخوفك أنك تروحي هناك بس صدقيني ده كان ماضي وانتهى أنا وفريدة هنيجي معاكِ متقلقيش".

★★★★★

بعد ساعة تقريبًا كان كلًا من فيروز ومعتز يجلسان أمام والد معتز الذي يُدعى محمد بعدما أخذت فريدة قرارها بأنها لن تُقابله، نبس محمد بنبرة حازمة وجادة:
"سيبني يا معتز مع فيروز لوحدنا".

هم معتز النهوض بحرج ولكن أوقفه للحظة وضع فيروز يدها على يده تمنعه من تركها قائلة بثبات:
"لو عايز تقول حاجه يا خالو يبقى في وجود معتز ده بردوه ابنك وزي أخويا وأنا مش هخبي عليه حاجه، وكمان هو المسؤول عني لحد ما اروح لعمي القاهرة".

رفع حاجبه الأيسر باستنكار وجلى التشنج على ملامح وجهه بسخط:
"تـ ايه! والعيل ده هو المسؤول عنك! اومال أنا لازمتي ايه هنا ...أنتِ هنا مسؤولة مني أنا وأنا اللي أقرر تروحي فين وتيجي منين مرواح عند عمك ممنوع وصية أمك هتتفتح هنا وزي ما أنتِ ليكِ الحق فيها أنا كمان ليا الحق وليا ورث منها".

كاد معتز أن ينهض وينهال عليه باللكمات بسبب طريقة حديثه الفظ معها وتعاديه كل الحدود فهو هكذا وسيظل هكذا ولن يتغير؛ ولذلك كان هذا إحدى الأسباب الذي جعلته يبتعد عنه ويعيش مع مصطفى وجميلة هو وشقيقته ومن حينها لا يعرفَا عن أخباره إلا القليل، أمسكت فيروز بذراعه وأجلسته مرة أخرى مُحاولة امتصاص غضبه ثم نظرت لمحمد بلا مبالاة ونبرة ساخرة:

"والله حضرتك أنا مطلعة بطاقة وسني قانوني إني أنا اللي أقرر بنفسي اروح فين واجي منين وأنت مالكش أي حق أنك تسألني عن ده، ثانيًا معتز مش عيل معتز لولا أني أنا ماسكاه كده كان زمانه طردك دلوقتي حضرتك جاي تفرض سيطرتك عليا زي ما كنت...
عايزه تعمل مع معتز وفريدة وفي الأخر هربوا منك ومن أفعالك المريضة وأنا بقى مش هههرب وهوجهك لأنك ملكش الحق تتحكم فيا والوصية اللي أنت فرحان بيها دي فماما عاملة توكيل لبابا من سنتين واتنازلت بأي حاجه ليها ليا قبل ما تموت".

وهُنا قد ثار غضب محمد وصفعها على وجنتها لِتُطلق صرخة بتألم وتترك تلك الصفعة على أثرها شريطًا من الدماء بجانب فمها ثم نهض وسحبها من خصلات شعرها بالقوة، لِيجد لكمة من معتز تُصيب فكه لِيترك شعر فيروز من قوته، أمسك فكه بتألم وصدمة لِيُحدق بهِ بتعجب واضح وعيون تطلق النار منها فصاح بصوتٍ هادر:
"أنت بتمد ايدك عليا!! بتمد ايدك على أبوك".

ضحك معتز بتهكم وسخرية:

"أبويا مين أنت بتكدب الكدبة وتصدقها أنت مجرد اسم في البطاقة أنت لا أبويا ولا أعرفك اصلا".

كانت فريدة تقف من بعيد تُشاهد ما يحدُث والدموع تنهمر على وجنتيها بحرارة كأنها تتذكر إحدى المُشحنات التي كانت تدور بين والدتها ووالدها في صُغرها وتنتهي دائمًا بضرب محمد لوالدتها كل مرة، وضعت يدها على ثغرها تمنع شهقاتها من الصُدور مُختبئة خلف الباب بخوف ورهبة، بينما كان محمد يصرخ بهم بغضب جامح:
"كلامي أنا اللي هيتسمع وأقولك على حاجه كمان أنا هجوزك ولو أقدر أمضيكِ على تنازل همضيكِ يا فيروز".

صرخت بهِ بعدم تصديق لما يقوله والغضب يتملك من كل خلايا عقلها:
"أنت أكيد مجنون، أنا استحالة أوافق على كده".

وقبل أن يهجم عليها مرة أخرى وقف معتز حائل بينهم وتفوه ببرود على غير عادته:
"أطلع برا كفاية عليك كده".

نظر له محمد شرزًا والحقد والغضب يملئَا صدره وتوجه ناحية الباب وقبل أن يخرج صاح بصوتٍ عالي حتى يسمعَه:
"وعهد الله لأخليكِ تتجوزيه يا فيروز ولا أقولك كتب الكتاب يوم الجمعة وريني بقى هتلحقي تمشي ازاي من هنا".

وصفع الباب خلفه وعم الصمت المكان كله دون صوت شهقات فريدة وأنفاس معتز العالية.

هروب من أجل الوصية

جهزت فيروز الحقائب بجانبها مُستعدة للرحيل جالسة على الفراش بحنق مُحاولة التفكير بطريقة للهرب من هذان الرجلان اللذان يقفَا أمام باب منزلها يمنعها من الخروج بأمر من محمد حتى لا تذهب لعمها بالقاهرة حتى معتز وفريدة كان مُنشغلَا بأمر سفرهم معها فلم يعرفَا بما يحدث ولكن حان الوقت لتتصرف وترحل سريعًا، أمسكت الهاتف وأجرت اتصالًا.

_ "ألو يا فريدة، تعالي أنتِ ومعتز بسرعة بس أوعي تخليه يعمل حاجه يا فريدة ها!".

_ "في ايه يا فيروز حصل حاجه ولا ايه".

_ " خالو سايب لي اتنين برا عشان ممشيش يا فريدة وبكره هيجيب العبيط ده اللي عايزاني اتجوزه تعالي أنتِ ومعتز عشان لازم امشي".

_ "هكلمه واجي على طول متقلقيش".

لم يمُر إلا ساعة واحدة فقط وآتى كلًا من فريدة ومعتز، حاول معتز التفاوض معهم لكي يرحلوا مقابل أعطائهم المال ولكن دون جدوى وبالنسبة لفارق حجمهم لِمعتز فكانَا يفوقَه كثيرًا ولو دخل في عِراك فسوف يخسر بكل تأكيد فقرر التراجع والتفكير بخطة بديلة، دخل لهما مرة أخرى بيأس وأخبرهم بما حدث بالخارج.

هتفت فيروز بحيرة:
"وطب هنعمل ايه دلوقتي؟!".

لمعت عيناه دليلًا على أنه خطَر بباله فكرة:
" أحنا هنهرب ...أو مش أحنا بالمعنى الحرفي أنتِ بس اللي هتهربي يا فيروز الرجالة اللي برا دي عايزاكِ أنتِ، بتعرفي تنزلي على المواسير؟!".

حدقت بهِ بذهول وفاهٍ مفتوح على أخره:
" أنت بتقول ايه يا معتز!".

_ " مفيش حل تاني يا بنتي أنجزي عشان نلحق نمشي مش شايفة فريدة هتنام مننا ازاي".

كانت فريدة جالسة على الأريكة تُربع ساقيها وتأكل المقرمشات بملل وهي تُشاهد الحديث:
" لا أنا جعانة يلا بسرعة بقى".

رمقته ببراءة وعيون تُشبه القطط:
" اوعدني إني مش هقع يا معتز".

_ "اوعدك".

★★★★★

أخذ ملائتان من خزانة الملابس وعقدهم جيدًا ببعضهم بعد أن ظل يبحث عن حبلٍ ولكن بدون جدوى وعقدها بإحدى حقائبها وأنزلها ببطء من نافذة غرفتها وفريدة تنتظرها بالأسفل لِتضعها بالسيارة بعد أن نزلت من على الأنابيب، واحد تلو الآخر حتى أنزل جميعهم لِيحين دور فيروز.

_ "يلا يا فيروز".

صمتت لثوانٍ تنظر من النافذة بتردد وخوف ثم قالت:
"مفيش برميل نربطه بحبل وأنزل فيه؟".

_ "يلا يا حبيبتي أنتِ مش هتنزلي من هنا أصلا المواسير من الشباك التاني".

توجهَا نحو النافذة الذي أشار عليها وأخرجت رأسها تتفقد الحال بالأسفل برهبة ثم بلعت ريقها قائلة بنبرة مُحاولة أظهار بها الثبات:
"استعانا الشقا بالله، بسم الله الرحمن الرحيم".

_ "ربنا معاك يا صاحبي هستناك تحت".

أغلق النافذة من خلفها وتوجه ناحية الباب لِيرحل هو الأخر وينتظرها بالأسفل، تشبثت بتلك الأنابيب جيدًا مُحاولة عدم النظر للأسفل حتى لا تفقد توازنها ثم دعت في سرها أن كل شيء سيكونٍ بخير، دقائق حتى اقتربت من الطابق الأخير فهبطت قليلًا حتى أمسك بها معتز من خصرها وأطمئن أنها بخير وصعد ثلاثتهم إلى السيارة متوجهين إلى القاهرة وتحديدًا بمنطقة المعادي، أخذ الطريق منهم بالسيارة إلى ما يُقارب الساعتين ونصف حتى وصلوا إلى المعادي أمام المنزل التي يسكُن بهِ عمها، قبل أنا يرتجلَا من السيارة أمسكت فيروز رأسها وهي تأن بألم استدار لها معتز من المقعد

الأمامي لِيعرف ما أصابها فجأة:
"مالك يا فيروز حاسه بحاجه؟!".

فتحت أعيُنها بوهن مُردفة:
"لا مفيش شويه صداع مش أكتر أنا كويسة".

_"متأكدة؟!".

نبست بها فريدة بقلق فأومأت فيروز لها تأكيدًا وارتجل ثلاثتهم من السيارة.

★★★★★

بعد أن استقبلهم عمها الذي يُدعى حسن بترحيب هو وزوجته وجلسوا جميعهم بغرفة المعيشة وسردت عليه فيروز ما حدث في الأيام الماضية عم الصمت بالمكان فصاح حسن فجأة مُستشيط غضبًا:
"ده اتجنن بجد، هو رجع لِشُرب المخدرات تاني ولا ايه؟!".

نظرَ ثلاثتهم بصدمة مما قاله للتو ناطقين في نفس ذات اللحظة:

"ايه ...مخدرات!".

قدمت لهم زينب المشروب وجلست بجانب حسن مُفسرة بتؤدة:
"ايه ده أنتوا متعرفوش؟! محمد الله يهديه كان بيشرب مخدرات بس الكلام ده لما كنتوا صغيرين ده غير المشاكل اللي كان بيعملها ساعتها والحمد لله دخل مصحة وأتعالج بس باين عليه اتنكس تاني ورجع للزفت ده".

عقدت فريدة ما بين حاجبيها بوغر وحقد هاتفة:
"هو بجد في إنسان بالسوء ده!".

ربتت زينب على كتفها بحزن مُتحدثة:
"معلش يا حبيبتي الحمدلله أنكوا بعدوا عنه وعيشتوا مع مصطفى وجميلة كان زمانكوا زي...".

زمجر حسن لها بتحذير فخُرست مُتراجعة عما كانت ستقوله، فقالت فيروز وأعيُنها مازالت مُعلقة على زينب:
"طيب هعمل ايه دلوقتي يا عمو أنا لو رجعت مش هيسبني في حالي ده غير عريس الزفت اللي جايبه ده".

مسح على شعرها وبث الطمأنينة لها بابتسامة ملئت ثغره:
"متقلقيش يا حبيبتي أنا هتصرف معاه، وكده كده أنتوا كلكوا قاعدين معنا لحد ما المحامي يرجع".

تساءل معتز بجهل وتعجب:
"وهو المحامي فين وليه أسبوع؟!".

_"المحامي وعُدي في الغردقة بيخلصوا شغل هناك مش هيجيوا غير بعد أسبوع".

_ "طيب وأحنا هنعمل ايه مع فيروز هنا؟!".

كان هذا سؤال فريدة فأجابها بوضوح:
"عشان أنتوا كمان ليكوا من ورث جميلة ومصطفى ولازم تبقوا كلكوا موجودين، كفاية كلام بقى أنتوا لازم ترتاحوا من الطريق ...مالك مش هيجي غير بعد يومين أنت يا معتز هتقعد في اوضة وفيروز وفريدة في اوضة عُدي لحد ما نجهز اوضكوا بكره".

★★★★★

كان الفتاتان يجلسان بجانب بعضهما على الفراش، فقالت فريدة بمُشاكسة وخُبث:
"القاهرة اللي كنتِ خايفة تروحيها بقيتِ فيها وعُدي اللي بتترعبي منه مش موجود لا ومش بس كده ده أنتِ نايمة على سريره ...بذمتك مش وحشك؟!".

وكزتها فيروز في كتفها بخجل وحنق واضح:
"أسكتي بقى مين ده اللي وحشاني ده جاب لي تروما".

رمقتها بعيون بريئة مُتصنعة:
"ليه كده بس ده شكله كيوت في الصور".

عقدت أناملها ببعضها بارتباك:
"بس بجد يا فريدة عُدي متغير بقاله فترة كبيرة ومش أنا بس اللي قولت كده؛ كل اللي حواليه خدوا بالهم من طريقته اللي اتغيرت".

_ "الله أعلم بقى ايه اللي حصله، يلا يلا نامي البيه مش هيجي غير بعد أسبوع".

بعد ساعتين فقط نهضت فريدة من نومها لِشعورها

الشديد بالظمأ خرجت من الغرفة مُحاولة إيجاد المطبخ في ذلك الظلام بأعين ناعسة حتى دلفت إليه وفتحت المُبرد ببطئ وأخذت منه زجاجة مياه تروي بها ظمأها لِتجد فجأة من يمسكها من تلابيبها ويصيح بعفوية:
"هو أنا كل شويه هجيبك من المطبخ يا نور، هتبطلي أكل امتى بقى".

سقطت زجاجة المياه من يدها أثره دفعه لها بقوة ووقفت المياه بحقلها جعلتها تسعُل بشدة تحسست الطاولة بجانبها ومع أول شيء أمسكته بيدها ضربته بهِ على رأسه فسقط في اللحظة ذاتها على الأرض فاقدٍ الوعي هرولت بسرعة تبحث عن كَابس النور وحين أضاءت الأنوار نظرت للجسد المُلقى على الأرض وإلى ما تمسكه بيدها فوجدتها مِقلة فبلعت ريقها بتوتر وبعض الخوف لِتقول بمُزاح عكس ما تشعر بهِ:
"الله طاسة! أول مرة أجرب شعور ربانزل لما تضرب حد بالطاسة، طب أربطه ده ولا اعمل فيه ايه ...قال يعني أنا ربانزل ده اكيد حرامي ...حـــرامـــي".

صرخت بأعلى صوت تمتلكه حتى أيقظت المنزل بأكمله على أثره مُتجمعين بالمطبخ يُشاهدون ما حدث بذهول وصدمة، فصاحت زينب بخوف:

"مالك حبيبي".

وركضت تجثو بجانبه تطمئن عليه مُحاولة إيقاظه بينما وقف معتز بجانب فريدة هامسًا بأُذنها:
"عملتِ ايه في الواد يخرب بيتك".

فهمست له بذات النبرة بارتباك:
"والله ما عملت حاجه لقيته ماسكني من هدومي ولا كأني عاملة عملة ..اللي لقيته قدامي ضربته بيه".

_ "ايه اللي حصل يا فريدة؟!".

تساءل حسن بتعجب وكلا ابنتهِ تقفان بجواره فتحولت معالم وجهها بالكامل إلى البُكاء المتصنع فقالت من بين شهقاتها:
"والله ...والله يا عمو فكرته حرامي روحت ضربته باللي لقيته قدامي والله ...والله يا عمو".

ربت على كتفها بتفهُم:
"خلاص يا حبيبتي اهدي، إن شاء الله هيبقى كويس".

وأشار لإحدى الفتاتان أن تجلب لها زجاجة مياه ففعلت كما أمرها بطاعة ونولتها إياها فشربت منها حتى اكتفت تحت نظرات معتز الساخطة، وبعد العديد من المُحاولات من زينب لِإيقظه أعطت فريدة الزجاجة لشقيقها واقتربت منهم ثم جثت على ركبتيها وهو مُستلقي على الأرض:
"عنك كده يا طنط بس، حد يجيب لي بصلة أنا هفوقه".

ولول معتز بصوت منخفض حتى لا يسمعه أحد:
"يا ختي حد يبعد البت دي عنه هيفطس في أيدها".

ظل الجميع مُحدق بها بتعجب من تحولها المُفاجئ فهتفت بغباء:
"ايه يا جماعة بصلة عايزين نفوق الواد".

لم يستجب أحد لها فأخرجت زجاجة عطر صغيرة من جيب منامتها ووضعت القليل منها على يدها ووجهتها تحت أنفه تحت همسها المُتوسل له بالاستيقاظ:
"فوق أبوس إيدك هودي وشي فين منهم".

يبدو أن عطرها لم يُعجبه فجلى الامتعاض والضيق

على وجهه أبعد أنفه وفتح عيناه ببطئ مُتحسسٍ رأسه بألم يحاول تذكر ما حدث خلال الثواني الأخيرة زوى ما بين حاجبيه بتساؤل:
"هو ايه اللي حصل؟!".
تنفست فريدة الصعداء مُغمضة أعيُنها بارتياح كبير، بينما مالك ينظر بتعجب لِفريدة ومعتز هاتفًا:
"أنتوا مين؟!".

اقتربت منه والدته بلهفة وخوف مُحضتنة وجهه بين كفيها:
"حبيبي أنت كويس، حاسس بحاجه طيب؟!".

هز رأسه العديد من المرات تأكيدًا على أنه بخير مُرددٍ:
"اه أنا كويس مفيش حاجه".

وهُنا استيقظت فيروز تُشاهدهم من بعيد بجهل تتثائب والنُعاس يملئ عيناها:
"ايه ده وقت الفطار ده ولا ايه!، متجمعين في المطبخ كده ليه؟!".

لم يوقظها صوت صُراخ فريدة أو أصواتهم العالية بل

ما أيقظها هو الصُداع الذي أصابها فجأةً وحين انتبهت لتلك الضوضاء بالخارج انبثقت من الغرفة لِتعرف مصدرها، تحدث مالك كما هو مُستلقي على الأرضية ومتكأ على مرفقيه بابتسامة بلهاء ارتسمت على ثغره:
"أزيك يا فيروز، مين دول؟!".
أغمضت أعيُنها العديد من المرات مُحاولة أدراك ما يحدُث هُنا بالضبط مُتساءلة:
"هو في ايه؟!".

★★★★★

في مساء اليوم التالي، بالإسكندرية وتحديدًا أمام منزل فيروز كان محمد يقف يتحدث مع هذان الشابان بصوت خفيض بعيدًا عن الرجل الذي معه فتكلم إحداهما:
"لا جوه ومخرجتش وفي اتنين جُم، شاب كده وآنسة هي فضلت معها جوه وهو قعد ساعة ومشي من غيرها ومن ساعتها محصلش حاجه تاني".

لاحت ابتسامة على ثغره وهمهم لنفسه ببعض الكلمات كأنه يُؤكد لذاته أنه انتصر عليها وسيفعل ما يريد بالنهاية، طرق على الباب بعد أن أمرهم بالرحيل ثوانٍ ولم يجد أي رد فطرق مرة أخرى فكانت كسابقتها لِيقترب منه ذلك الرجل الذي يتضح أنه العريس فكان

رجلٌ يُقاربه بالسن، هتف بنبرة غليظة:
"في ايه يا محمد هي مش جوه ولا ايه؟!".

بدا الارتباك على وجهه فحاول إخفاءه سريعًا مُتحججًا:
"باين عليها كده مش سامعة ولا نامت".
_"نامت!".

_"ا.. اه ممكن تكون نامت".

تحدث ذلك العريس بجدية طغى عليها التحذير:
"محمد أنت فضلت تسحب مني في فلوس وتقولي هترجعهم ومرجعتش حاجه وقولت ماشي كده كده أحنا مع بعضنا ومش هتعرف تهرب مني قولت مش عارف أسدد الفلوس بس اجيب لك عروسة حلوة ومقطوعة من شجرة وافقت إنما تعمل الشغل ده عليا يبقى لحد هنا وبس يا محمد الفلوس لو مرجعتش كاملة في خلال أسبوعين هتزعل مني جامد".

وتركه ورحل كأنه سيُصيب بالجنون طرق الباب بقوة ولكن لا يوجد أي رد حتى قرر أنه سيكسره، دفعه بكتفه مرات عدة حتى كُسر بالمرة الأخيرة تفحص المكان

بأعيُنه كالمجنون وجده خالي تمامًا فصرخ بسَبّة بغضب جامح.

★★★★★

في منزل حسن، كان كلًا من فيروز ومالك يجلسان في غرفة المعيشة يتسامران حتى مرت فريدة من أمامهم وهي تقضم جزرة كانت بيدها بعدم اكتراث بالموجودين فاستوقفها مالك قبل أن تبتعد:
"فريدة معلش لو هزعج حضرتك بسؤالي".

بلعت ما كان في فمها قبل أن تنطق:
"لا طبعًا مفيش الكلام ده اتفضل".

ضيق عيناه بتركيز ثم أردف بنبرة مُتساءلة:
"هي دي بيچامتي؟!".

بلعت ريقها بتوتر وتصبب العرق من جبينها فتكلمت بتلقائية عكس ما بدى عليها لِتجلس برفقتهم:
"بص يا باشا أصل وأنا جايه جبت حتتين هدوم على قد اليومين اللي هقعدهم بس الحاج أبوك قالنا لازم نقعد أسبوع فيعني طمعت في البيچامة دي من عندك ولقيتها

مريحة يعني ...بس لو عايزاني أقلعها أهو".

نهضت سريعًا وهي تحُل أزرار المِنامة، فوضع مالك كفوفه يُخفي أعيُنه بخجل صائحٍ:
"خلاص والله خليها مش عايزها البسي تاني بسرعة أنا آسف".

كانت فيروز تراقبهم بملل فهي مُعتادة على أفعالها الغريبة وهي تتيقن أنها ترتدي شيئًا أخر تحت تلك المِنامة أمسكتها من يدها بضيق أجلستها بجانبها فصمتت فريدة مُحاولة عدم إطلاق ضحكاتها فوكزتها بكتفها.

_"خلاص خلاص هسكت اهو".

ابعد مالك كفيه عن وجهه بتساؤل:
"قلعتِ؟!".

زفر بارتياح حين رآها تجلس بجانب فيروز فقالت فريدة بجدية تحاول كبح ضحكاتها:
"خلاص بجد كملوا كلامكوا أنا هسمع بس".

وقطمت من الجزرة مرة أخرى بهدوء فأكملت فيروز حديثها:
"كنت بقول أني بقالي أسبوع حاسة بصداع جامد ممكن يصحيني من النوم وبقيت بتلخبط في الكلام كتير وبنسى كتير بردوه ومش عارفة ده سببه ايه؟".

تكلم برزانة وعملية بعد أن صمت دقائق يُفكر في الأعراض التي تنتابها:
"الصراحة مقدرش أديكي تفسير للأعراض دي غير لما تعملي تحاليل، أنتِ ممكن تيجي معايا المستشفى تعملي تحاليل وفحوصات ونطمن عليكِ كده كده عندي شيفت بليل".

أومأت برأسها ببعضٍ من التوتر فأمسكت فريدة يدها تبُث لها الطمأنينة، حينها سمعوا طرقًا على الباب فتوجهت نور شقيقة مالك فتحه ثوانٍ تُدرك ما تراه حتى صاحت بفرحة:
"مــامــا عُدي جيه يا ماما".

اتسعت أعيُن فيروز بصدمة وازدردت ريقها بتوجس فهمست لها فريدة بصوت خفيض:
"ولا كأنه جيه أوعي ترتبكي ها!".

دخلَا كلًا من عُدى والمُحامي تحت ترحيب الجميع بعُدي وتساؤلات والدته بأنه بخير أم لا والاطمئنان على صحته ومُعانقته لشقيقاته ووالده، تجمع الجميع في غُرفة واحدة حول الطاولة الصغيرة، أخرج المُحامي حقيبته ووضعها على الطاولة يُخرج منها الأوراق فقال عُدى بملامح جامدة:
"أزيك يا معتز عامل ايه؟!".

_"الحمدلله كله تمام، حمد الله على سلامتك".

_"الله يسلمك".

حمحم المُحامي مُتحدثة بتؤدة وروية مُمسكًا بورقة يقرأ مُحتواها فكانت تنُص..

"أكيد لما تيجي تقرأي الكلام ده يا فيروز مش هكون موجود، مش عايز اليأس يتملك منك ساعتها ومتزعليش أبدًا فيرو اللي أعرفها عمرها ما يأست واستسلمت وعمري ما شوفت دمعة على خدك وأنا عايش، مش عايز الدموع تلمى عينك وأنا غايب، خالي بالك من نفسك ومن ماما أنا وهي بنحبك أوي اوعي تزعليها منك وبطلي نكش فيها، بحبك يا فيرو

بالنسبة للشركة فـ هتفضل موجودة ومعتز اللي هيمسكها من بعدي ومفيش حاجة هتتغير معتز عارف هيعمل ايه كويس وزي ما كان شايلها في وجودي هيعرف يمسكها من بعدي، وبالنسبة للورث فنصه لـ فيروز وجميلة والنص التاني لمعتز وفريدة وليهم الحق زيهم زي فيروز بالظبط، بس حاجه أخيرة هطلبها منك يا حسن أنك تجوز فيروز لعُدي طول ما فيروز في إسكندرية فأنا مش مطمن لما تبقى في وسطكوا ومع عُدي هبقى مستريح أنها معاه خالي عُدي يخلي باله منها يا حسن فيروز أمانة في أيدك لحد ما نتقابل عند رب كريم".

كان الجميع يبكي بأنين خافت حتى صُعق كل من كان بالغرفة حين أستمعوا للوصية الأخيرة وهي زواج عُدي بفيروز.

مُصيبة أُخرى

نهض عُدي من مكانه بصدمة كمَن لدغته حيّة يصيح بانفعال لا يُصدق ما سمعه للتو:
"ازاي يا بابا الكلام ده**!!**".

حملق حسن بالذي أمامه بشرود وتفكير ثم قال بنبرة هادئة:
"زي ما أنت سمعت كده يا عُدى، وصية عمك لازم تتنفذ".

هزت فيروز رأسها العديد من المرات وانتابها حالة من الصدمة والتيبُس مُكررة سؤالها:
"يعني ايه يا عمو ..يعني ايه**!**".

ارتفع صوته قليلًا بضيق:
"زي ما سمعتوا كده وصية مصطفى هتتنفذ وعُدي وفيروز هيتجوزوا".

اشتد غيظه قابضًا على يده حتى ظهر اللون الأبيض من

مفاصله وتركهم متوجه لغرفته وصفع الباب خلفه، بينما نظرت فيروز لحسن بأعيُن مُتوسلة:
"مش هينفع يا عمو ..والله ما هينفع".

اقترب منها وعانقها بهدوء ويُمسد على شعرها برفق، فقام المُحامي مُستأذنًا لِيرحل تحت دهشة الجميع التي حلت بهم، بينما نهض معتز متوجه لغرفته لِيُجهز حقائبه عائدًا إلى دياره مرة أخرى فلحقت بهِ كلًا من فيروز وفريدة.

تساءلت فريدة بتعجب وهي تُشاهده يُلملم أغراضه:
"معتز أنت بتعمل ايه؟!".

_"زي ما أنتِ شايفه هلم حاجتي عسان راجعين إسكندرية".

غمغمت فيروز بصوت خفيض وحالة من الشرود:
"وتسيبوني!".

ترك ما بيده سريعًا واقترب منها هامسًا:
"يا حبيبتي أنتِ وسط أهلك أحنا مكانا مش هنا ولازم

نرجع تاني، متخافيش أحنا مش هنسيبك وهنزورك كل شوية".

دفنت وجهها في صدره وحاوطت ذراعيها جسده مُشددة الأمساك بهِ كأنها كانت تغرق ووجدت طوق النجاة الذي سيُنقذها مُحاولة كبح عبراتها قبل أن تُفلت منها:
"بس أنا خايفة".

سحبتها فريدة من عناقه وعانقت كفوفها وجهها مُبتسمة بثقة مُحاولة التحدث الثبات:
"فيرو عمرها ما خافت بالشكل ده، فيرو شجاعة دايمًا عُدي مش هياكلك ده ابن عمك والناس اللي برا دي أهلك صدقيني عمو عنده حق طول ما أنتِ في وسطهم أنتِ هتبقي في أمان وبالذات بعد اللي بابا كان عايز يعمله ده ...متخافيش أنا هفضل معاكِ هنا كام يوم كمان لحد ما كل حاجة تبقى كويسة، اتفقنا؟".

أومأت لها بالموافقة ومسحت دموعها بظهر يدها مُبتسمة بتودد:
"اتفقنا".

★★★★★

خرج معتز من الغرفة يجُر خلفه حقيبته واقفًا أمام حسن فاقترب منه بتساؤل بحاجبين معقودين:
"رايح فين يا معتز؟!".

_"هرجع إسكندرية زي ما حضرتك عارف الشركة أنا المسؤول عنها دلوقتي سيبتها كتير الفترة دي لازم حد ياخد باله من الشغل، هي بس فريدة هتفضل مع فيروز شويه وبعدين هبقى اجي اخدها".

_"ايه اللي أنت بتقوله ده يا معتز فريدة قاعدة مع أخواتها زيها زي نور وروان بناتي تقعد زي ما هي عايزة".

اقترب منه هامسًا بقلق:
"عارف والله يا عمي بس بعيد عنك فريدة بت لاسعة وبتقعد تعمل مشاكل دايمًا، بس أوعدك مش هتعمل صوت ولا دوشة لحد ما اجي اخدها".
قهقه حسن قائلًا من بين ضحكاته:
"متقلقش عليها وسط أخواتها هنا، توصل بالسلامة يا حبيبي".

عانقه معتز بحُب وأمسك بحقيبته مرة أخرى قاصدًا الباب ولكن قبل أن يفتح الباب سمع من يُنادي باسمه فاستدار سريعًا لِيجد روان تقف أمامه وتكتسي الحُمرة وجنتيها تنظر له بارتباك ثم مدت له يدها بصندوق صغير هاتفة بنبرة منخفضة:
"اتفضل".

تناولها منها مُتسائلًا:
"ايه ده؟!".

_"سندوتشات عشان الطريق وكده".

ثم خفضت بصرها على الأرض بخجل، لاحت ابتسامة جانبية على ثغره مُردفٍ:
"تسلمي لي يا روان تعبتِ نفسك".

أرجعت بعض من خُصلات شعرها خلف أذُنها وقالت:
"ولا تعب ولا حاجه ...خـ ..خالي بالك من نفسك، توصل بالسلامة".

_"الله يسلمك، مع السلامة".

عادت الفتاة لشقيقتها بخجل فوكزتها نور بمشاكسة ضاحكة بخُبث:
"والله يا بت!".

لملمت شعرها بربطة شعر صغيرة وقنت الحُمرة وجنتيها قائلة بحنق:
"عايزة ايه".

غيرت نور من نبرة صوتها مقلدة طريقة روان بالحديث:
"سندوتشات عشان الطريق وكده".

وكزتها روان في كتفها بسخط وتبرم:
"ملكيش دعوة يا بت أنتِ ده أنتِ رخمة".

أشاحت نور بيدها بعدم اكتراث ثم تحدثت:
"يا ستي أنا مليش دعوة كتك القرف".
_"ألا قولي لي يا نور أخبار البيه بتاعك ايه؟!".

ابتسمت نور تلقائيًا وكان الفراشات تتطاير بجانبها وألتمعت عيناها ببريق عجيب مُردفة:

"الكوتي مسافر دلوقتي ...يا عيني شقيان".

رفعت روان شفتها العُليا باستنكار واشمئزاز:
"شقيان ليه يا حبيبتي بيعمل ايه الكوتي بتاعك!".

أخرجت لسانها بتذمُر وصاحت بحاجبين معقودين:
"ملكيش أنتِ دعوة ...بس بجد بجد هو دلوقتي مسافر في شغل ومعرفش هيرجع امتى".

_"نور هو بجد عمر اللي بيقعد يلعب بديله ده هنا وهنا ربنا هيهديه ويعقل كده وتتجوزوا؟!".

رفعت حاجبها الأيسر بثقة ونبست:
"وليه لا، أنا أقدر على عمر وأخليه زي الخاتم في صابعي طالما بيحبني ...أقدر أعمل أي حاجة".

صفقت روان بسرعة بحماس وهتفت:
"يا واد يا جامد".

غيرت نور دفة الحديث مرة أخرى فتكلمت بجدية التي كانت دائمًا من طبعها:

"روان أنتِ في حاجه من ناحيتك ليهِ؟!".

ففهمت روان قصدها سريعًا حينها هزت رأسها بالرفض القاطع مرات عدة كأنها تُخرج ما قالته من عقلها مبتعدة عنها تدخل غرفتها:
"لا لا لا ايه اللي أنتِ بتقوليه ده لا طبعًا هو بس الواد على طريق سفر وأخته مش مروحة معها وهيقعد لوحده".

عقدت نور ما بين حاجبيه باستنكار وهتفت بصوت عالي نسبيًا:
"لا وأنتِ حنينة اوي يا بت".

★★★★★

كان محمد جالسًا في منزله أمام طاولته الصغيرة يستنشق ذلك السُم الأبيض بحالة من الهذيان والشرود لا يشعر بما حوله حتى سمع طرقٍ على الباب بقوة فنهض بتثاقُل يفتح الباب بأعين شبه مُغقلة صائحة بحنق:
"حاضر حاضر ما براحة على الباب هيتكسر".

فتح الباب بغضب حتى وجد شخص ضخم البنية تحدث

بغلظة:
"جابر بيقولك عدى أسبوع على اللي قالك عليه الفلوس لو مرجعتش آخر الأسبوع الجاي أنت عارف هيعمل ايه".

هز رأسه بضيق وتفوه:
"عارف عارف سيبني بقى في حالي".

وأغلق الباب وهو مازال واقف وعاد لمكانه مرة أخرى مُغمغم بوغر وتبرم يطلق السبات:
"ولاد الكلب معرفش راحوا فين وربنا أعتر في حد فيهم بس!".

وأكمل ما كان يفعله ومع أول سطر استنشقه غاب عن العالم لعالم أخر مُبتسمًا ببلاهة ثم دخل في نوبة من الضحك الهستيرية ثم مسح ما أسفل أنفه ولعقه بلسانه وأفترش على الأرض بتعب.

★★★★★

مر أسبوعًا آخر على ذلك اليوم ولم يتغير أي شيء سوى أن فريدة قد عادت لِشقيقها بالأسكندرية وتم عقد

زواج عُدي وفيروز وانتقلَا للعيش في منزل آخر ولكن قربيًا من منزل أبيه وهكذا رجع كل شيء إلى ما كان عليه في السابق.

فتح عُدي الباب بهدوء بعد انتهاء دوامه في العمل عائدًا إلى منزله الذي لا يشعر فيه بأي إنتماء وأن المكان ليس بمكانه وكل ما بالأمر أنه فعل شيئًا كان لا يُريد فعلها ولكن كل هذا تنفيذًا لوصية عمه الراحل.

دلف إلى الداخل باحثًا بأعيُنه على فيروز بالأرجاء ولكن لم يجدها كل ما عثر عليه هو الهدوء التام والظلام الآتي من غرفتها، هتف باسمها مرتين ولا أحد يستجيب لِندائه حتى اقترب من غرفتها وطرق عليه برفق ثم انبثق دخلها فوجدها خالية زوى ما بين حاجبيه بتعجب قائلٍ لنفسه:
"هتكون راحت فين دلوقتي".

انتشل هاتفه من جيب سترته وقرر الاتصال بها فلم يجد أي رد مرة أخرى فعاود الكرّة فكانت مثل سابقتها زفر بضيق وسخط واضعًا الهاتف جانبًا هاتفًا بوغر وتوعد:
"طب لما ترجعي يا فيروز عشان تبقي تنزلي من غير إستئذان .. لما ترجعي".

ظل ساعتين جالسًا بمكانه على فراشها لا يعرف هل يغضب منها أم يقلق على تأخيرها حتى سمع صوت المُفتاح يوضع بالباب ظل بمكانه ثابتٍ حتى دخلت هي الغرفة وابتسامة واسعة تُزين ثغرها ولكن اختفت حين رأته يجثو على فراشها فنهض هو وصاح بها بصوتٍ هادر:
"أنتِ كنتِ فين ده كله ها!! ومن غير ما تستأذني كيس الجوافة صاحب البيت اللي موجود".

ارتعدت فرائصها من صوته العالي فبلعت ريقها بتوتر قائلة بصوتٍ متقطع:
"كـ ...كنت ...".

صرخ بها مُجددًا بجنون:
"كنتِ فين انطقي!!".

مدت يدها بما كان في الحقيبة التي معها وقد انهمرت العبرات من أعيُنها من شدة الخوف هامسة:
"كنت بشتري اسكتشات وأقلام والحاجات دي بدل ما أنا قاعدة زهقانة في البيت لوحدي".

أخذ نفسًا عميقًا وأخرجه براحه مُحاولًا تهدأت نفسه

حتى تحدث بصوت خفيض:
"ولما أنتِ نازلة ما بلغتنيش ليه يا فيروز".

مسحت دموعها ونطقت من بين شهقاتها:
"أنا آسفة والله أنا مكنتش اعرف أني هتأخر ده كله بس المواصلات كانت زحمة وملحقتش اجي في الوقت اللي بتخرج فيه من شغلك بس أنا والله محضرة الأكل ومجهزة كل حاجه".

مسح على وجهه بكفه وتفوه:
"الحكاية مش حكاية أكل أنا بس قـ ..قلقت عليكِ يا فيروز على الأقل كنتِ عرفني مش همانع".

_"أنا اسفة صدقيني مش هعمل كده تاني".

_"مصدقك يا فيروز".

_"كلت؟!".

_"وهو الواحد كان ليه نفس وهو قاعد على أعصابه كده".

وضعت ما كانت تمسكه على المنضدة بالقُرب ثم عادت ابتسامتها مرة أخرى على ثغرها قائلة:
"روح بدل هدومك عقبال ما أجهز الأكل".

وبعد أن تناولَا الطعام معًا دلف لغرفته كالمعتاد وتركها هي وحيدة مثل كل يوم أتت بحاجاتها التي ابتاعتها اليوم ووضعتها بجانبها على الأريكة مُمسكة بهاتفها تتصل بإحدى الأرقام حتى أتاها الرد سريعًا:
"ألو يا مالك".

_"أزيك يا فيروز عاملة ايه؟".

_"الحمدلله كله بخير أنت ايه الأخبار؟!".

_"الحمدلله في نعمة، كان في حاجه ولا ايه عُدي كويس؟".

_"اه متقلقش كويس أنا بس كنت بسأل على التحاليل اللي عملتها من أسبوع هي متطلعش ولا لسه؟!".

_"اوف أنا نسيتها خالص بجد هي أكيد طلعت هروح

اجيبها وأبقى أعدي عليكوا في البيت اديهالك".

_"لا لا متتعبش نفسك كده كده كنت هروح النهارده عند عمو".

_"خلاص اشطا".

_"مع السلامة".

أغلقت معه سريعًا وركضت لغرفة عُدى أستئذنت قبل أن تدخل فسمح لها بالدخول دلفت عاقدة كلتا يديها خلف ظهرها بتهذيب قائلة:
"عُدي ممكن اطلب منك طلب؟".

ترك الهاتف من يده منصتًا لها وأشار لها بأعيُنه بأن تتحدث فأكملت:
"ممكن اروح عند عمو النهارده؟!".
قلبَ عيونه بتفكير وصمت لِثوانٍ ثم هتف:
"روحي ألبسي طيب عشان اوصلك".

صفقت بيدها سريعًا فرحًا وانطلقت مُهرولة لغرفتها

تُبدل ثيابها.

★★★★★

بالأسكندرية وتحديدًا بشركة الحديد والصُلب التي كانت مِلك لمصطفى والآن المسؤول عنها هو معتز، كان يجلس في غرفة مكتبه يُراجع الأوراق الموضوعة أمامه بتركيز ثم أرتشف من قدحِ القهوة خاصته حتى دلف إحدى موظفي الشركة قائلًا بتهذيب:
"معتز في واحد برا عامل دوشة وبيقول أنه عايز يقابلك ومش هيتحرك من هنا غير لما يشوفك ...باين عليه مجنون".

ترك ما بيده سريعًا ناظرًا له باهتمام ثم نبس:
"هاته هنا طيب يا كريم لما أشوفه عايز ايه ...البلاوي اللي بتتحدف علينا دي يا ربي".

خرج ذلك الموظف يُدعى كريم وغاب لدقائق حتى عاد مرة أخرى ومعه ذلك الرجل المجنون الذي لم يكُن غير محمد والده وحين رآه صاح بغضب:
"أخيرًا عرفت اشوف البيه".

أمر معتز كريم بالخروج وعدم السماح لأحد بأن يدخل إلا عندما يرحل محمد ففعل كما أمره وتركهما حينها تحدث معتز بجمود ولا مبالاة:
"عايز ايه؟!".

ابتسم محمد ابتسامة جانبية وتفوه بسخطٍ حانق:
"عايز ايه! وديت فيروز فين يا معتز خدها أنت وأختك وهربت بيها فين هاا".

أجابه بابتسامة تشفي ملئت ثغره مُردفًا:
"فيروز وسط أهلها في القاهرة ومع جوزها".

ضرب محمد على المكتب بكلتا يديه بجنون صارخٍ:
"أنت بتقول ايه يعني ايه الكلام ده!!".

ربع ذراعيه أمام صدره وأكمل:
"زي ما أنت سمعت كده فيروز اتجوزت عُدي ابن عمها".

حك أسفل أنفه وهدأت نبرة صوته قليلًا ثم قال:
"طب أنا عايز فلوس عشان واقع في مشكلة كبيرة".

اقترب من مكتبه قليلًا وهمس بنبرة خالية من أي مشاعر:
"ليه عشان تروح تجيب بيها بودرة؟!".

صرخ بهِ محمد مُجددًا:
"لا أنا فعلًا واقع في مشكلة وعايز فلوس".

_"أطلع برا".

نطق بها معتز ببرود فجن جنونه وصرخ:
"وربنا هفضحك في الشركة كلها اللي أنت فرحان بيها دي".

وتحرك ناحية الباب وهو يصرخ بأعلى صوت يمتلكه حتى أمسك معتز بهاتفه واتصل بإحدى الموظفين وطلب منه أن يأتي بأمن الشركة ويُخرجوا محمد من هُنا، أغلق سريعًا ثم عاد لعمله مرة أخرى كأن شيئًا لم يكن.

★★★★★

كانَا الاثنين يجلسان في السيارة والصمت هو الصوت الوحيد الذي يُحيط بهما، أختلس نظرة سريعة ثم ركز

في الطريق أمامه مُتساءلًا:
"بترسمي ايه؟!".

ردت عليه دون النظر له ومازالت أعيُنها فيما ترسُم:
"بشخبط، مفيش حاجه في دماغي برسمها، الدراسة قربت تبدأ هتحول الكلية بتاعتي لهنا امتى؟!".

عقد ما بين حاجبيه بدهشة:
"هو أنتِ لسه متخرجتيش أصلا، أنتِ في كلية ايه؟!".

أدامت له النظر هذه المرة ثم أجابته:
"لسه فاضلي سنة واتخرج، أنا في كلية فنون جميلة".

هز رأسه وصمت حتى وصلَا للمنزل، دخلَا المنزل والابتسامة تُشرق محياها اقتربت الفتاتان يُعانقهما بحُب وجلسوا سويًا تحت ترحيب والديه لهما.

تحدثت فيروز بصوت منخفض لفتاتان:
"هو مالك لسه في الشغل؟!".
أجابته نور سريعًا:
"زمانه جاي في الطريق".

نظرت لها روان بخُبث مُردفة:
"سمعت إن عمر راجع النهارده يا نور".

رفعت نور حاجبيها واتسعت الابتسامة على وجهها:
"مين اللي قالك الكلام ده يا بت؟!".

_"سمعت ماما بتقول كده لبابا النهارده وأنه جاي بكره يتغدى معنا".

وكالمعتاد طارت الفراشات من حولها وألتمعت عيناها ككل مرة فتساءلت فيروز بجهل:
"عمر مين؟!".

وقبل أن تتحدث روان مُجددًا قاطعها دخول مالك فجأة وعلامات العبوس والتجهم تعتلي تقاسيم وجهه بالكامل، هتفت فيروز بلهفة قائلة:
"جبت التحاليل بتاعتي يا مالك؟!".

حمحم وحك رأسه من الخلف بارتباك متفوهٍ:
"اه جبتها".

_"طلع في ايه بقى قولي؟!".

حينها انتبه الجميع لمالك الماثل أمامهم مما زاد من توتر ولكن قال بهدوء"
"الصراحة يا فيروز التحاليل بتبين أنك عندك كانسر في المخ".

كان كلًا من عُدي وفيروز يجلسان أمام الطبيب المختص في المستشفى التي يعمل بها مالك.

تحدث الطبيب بهدوء وهو يُدقق النظر للأوراق التي أمامه:
"فعلًا التحاليل بتثبت أنك عندك كانسر في المخ وكل الاعراض اللي قولتِ عليها اشتباها بورم".

تحدث مرة أخرى وهو يُقلب الأوراق التي على مكتبه وأمسك بإحداهما بتركيز ثم نظر لمالك بتعجب قائلًا:
"أنت كنت شاكك وخليتها تعمل أشعة CT ورنين مغناطيسي".

لم ينطق أحد منهم عليه فأكمل موجهًا حديثه لفيروز:
"أنتِ حاليًا في المرحلة التانية ...ولازم نستئصل الورم بأسرع وقت عشان لو طولتِ هتدخلي في المرحلة التالتة لأن في المراحل دي نمو الخلايا السرطانية بيكون أسرع من الدرجة الأولى وعدد جلسات الكيماوي كده هتزيد فيُستحسن إنك تلحقي نفسك دلوقتي".

هتف عُدي من بعيد دون حتى النظر لأي أحد بهم جالسًا على الأريكة التي بنهاية الغرفة:
"حدد معاد العملية يا دكتور".

نظر كلًا من فيروز ومالك بذهول من قراره السريع لتقول فيروز مُعارضة:
"بس ....".

لم تُكمل حتى حديثها فقاطعها وتحدث بنبرة صارمة:
"ما بسش أنتِ هتعملي العملية في الوقت اللي هيحدده الدكتور وهتاخدي جلسات العلاج كلها مش عايزينك تتعبي أكتر والموضوع يزيد".

خُرست ولم تستطع النُطق بكلمة واحدة مثلما لم تقدر على استيعاب الخبر أول مرة ظلت صامتة وعجز لسانها عن الحديث بينما نبس مالك وهو ينهض ينوي الرحيل:
"تمام شكرًا جدًا يا دكتور هبقى اتواصل مع حضرتك واعرف المعاد".

وهم بالخروج ولاحقه عُدي وفيروز حتى عاد كل واحد لمنزله.

★★★★★

حين وصلت فيروز للمنزل دلفت لغرفتها بسرعة دون التفوه بحرف وأغلقت الباب ورائها؛ فلم يلحقها عُدي ووقف أمام بابها بصمت، ثوانٍ وطرق عليه برفق مُنادي باسمها:
"فيروز ...ممكن تفتحي عايز اتكلم معاكِ".

قالت من خلف الباب بتهرب وهي تُرتب الفراش وتفترش بجسدها عليه:
"خليها وقت تاني يا عُدي معلش أنا هنام".

خبأت وجهها وجسدها بالكامل بالغطاء تكتم صوت شهقاتها تشعر بأن العالم كلهُ يقف ضدها، والديها الذي فقدتهم دُفعةً واحدة، زواجها الغير مسبوق من شخصٍ تهابه حتى ذلك المرض الذي ينهش بعقلها آتى لِيُكمل مأساتها ويُزيد الطين بلة، دفنت وجهها بالوسادة وبكت بحُرقة وكأنها لم تبقي من قبل، بكت كأول مرة سمعت بها خبر وفاة والديها، بكت كأنها تنتظر من دموعها أن تنفد؛ لم تكُن تبكي على هذا الابتلاء بل من كل شيء يُحيط بها بالصدمات التي تتوالى وراء بعضها.

كان يسمعها من الخارج ويسمع صوت أنينها وشهقاتها المكتومة خلف الباب فتحدث مرة أخرى بإصرار:
"فيروز أنا عارف أنك صاحيه، ممكن تفتحي؟".

لم تُجيب عليه وظل هو ماثلًا أمام الباب لا يعرف ماذا من المُفترض فعله وكيف يتصرف؛ حتى أمسك هاتفه واتصل بإحدى الأرقام.

★★★★★

وضعت فريدة صحن الطعام أمام شقيقها وهي تسأله بتوجس:
"مالك يا معتز حاسه إنك مضايق، في حاجه حصلت في الشغل ولا ايه؟!".

حدق بها باهتمام يسألها بما كانت تُحدثه للتو فكان شارد الذهن مُنذ أن آتى للبيت:
"ها كنتِ بتقولي ايه؟!".

جلست بجانبه والقلق يعتريها واضعة يدها على كفه:
"لا ده في حاجه بجد بقى! في ايه يا معتز مالك؟!".

وضع يده الأخرى على يدها وربت عليها بابتسامة مُطمئنة:
"متقلقيش يا حبيبتي شوية مشاكل في الشغل مش أكتر".

قطبت جبينها باستنكار:
"من امتى وأنت مشاكل الشغل بتشغلك كده ها!، قولي يا حبيبي ايه اللي حصل مخبي حاجه عليا؟!".

غزا القلق ملامحها مرة أخرى في آخر كلماتها، فرمقها هو بيأس ثم زفر ببطء قائلٍ:
"هقولك ...بابا جالي النهاردة الشركة وفضل يزعق وطلب مني فلوس وبيقول أنه واقع في مشكلة كبيرة".

رفعت حاجبها الأيسر بجمود وقالت:
"وأنت هتديله الفلوس اللي هو عايزها يا معتز؟!".

_"أكيد لا يا فريدة بس بابا أول مرة يطلب مني حاجه زي كده وعمره ما طلب فلوس فأنا بس عايز أعرف هو عمل مصيبة ايه تاني!".
هتفت فريدة بانفعال وسخط:

"ملناش دعوة زي ما هو مكنش بيسأل علينا ورمينا لماما جميلة وعمو مصطفى ده حتى مزعلش عليهم ولا حتى زعل لما ماما ماتت يا معتز ...معتز أنا بكره البني آدم ده واستحالة اتقبله في حياتي أنا ما صدقت حياتي بقت كويسة وهو مش موجود فيها".

وقبل أن يتحدث مرة أخرى سمع رنين هاتفه فأجاب سريعًا:
"ألو يا عُدي".

_"معتز عايز أقولك على حاجة مهمة".

زوى ما بين حاجبيه بتعجب وشك فنبس بتوجس:
"خير يا حبيبي في حاجه؟!".

_"مش هعرف أقولك في التلفون، تقدر تيجي دلوقتي أنت وفريدة؟!".

زاد توتره أكثر وأردف بنبرة مُتسائلة:
"في ايه يا بني فيروز حصلها حاجه طيب؟!!".

_"تعالى أنت وفريدة دلوقتي وأول لما تيجي هقولكوا، وأه اعملوا حسابكوا في لبس زيادة عشان هتقعدوا كام يوم".

_"ممكن بس تفهـ ...".

لم يُكمل حديثه حتى وجد أنه انهى المُكالمة فنظر للهاتف بدهشة ممزوجٍ بالقلق والتوتر ولكن نهض بسرعة قائلٍ:
"قومي بسرعةً البسي وجهزي شنطتك هنروح القاهرة".

★★★★★

بعد مرور بضع ساعات، في منزل عُدي بعد أن وصلَا على عجل انبثقَا للداخل وهتف معتز بقلق:
"في ايه يا عُدي؟!، فيروز حصلها حاجه ولا ايه هي فين؟!".

أفسح لهما الطريق وجلس ثلاثتهم بعد أن أشار لهما بالجلوس أولًا:
"هقولكم بس اقعدوا".

نظرَا الاثنين له بترقُب وأكمل هو حديثه:

"أنا عايزكوا تاخدوا الموضوع براحة وإن ده مجرد إختبار من ربنا مش أكتر".

نطقت فريدة سريعًا بتوتر:
"فيروز كويسة صح؟!".

أومئ لها ثم أضاف:
"متقلقيش كويسة، بس هي التحاليل اللي عملتها طلعت وطلع عندها كانسر في المخ".

صُعقَا كلاهما بصدمة وعدم تصديق لما يقوله فابتسمت فريدة تحاول نفي ما سمعته:
"ايه اللي أنت بتقوله ده، أنت جايبنا ده كله عشان تهزر في الكلام ده! ...هي فيروز فين؟!".

ونهضت بسرعة تتوجه لغرفة فيروز أما عن معتز فكان جالس مكانه لم يتحرك مُتصلب كلوح الجليد، طرقت فريدة على الباب بعنف صائحة:
"فيروز افتحي الباب ايه الكلام اللي عُدي بيقوله ده افتحي يا فيروز!"..

دقائق وفتحت الباب بهدوء وعلامات البُكاء على وجهها وعيناها ووجهها المُتورم وما إن رأت فريدة أمامها حتى عانقتها بقوة والعبرات تملأ أعيُنها، ربتت هي بدورها على ظهرها برفق والدموع تنهمر على وجنتيها بهدوء دون التفوه بكلمة، بينما قص عُدي عليهم ما حدث فأردف معتز بعد أن وقف أمامها:
"متخافيش يا فيرو أنتِ قوية أنا واثق فيكِ وهتعرفي تعدي كل ده وإحنا جمبك ومش هنسيبك أبدًا".

بلعت غصة مريرة بحقلها وأومأت له برأسها بعد أن بث لها تلك الكلمات التي جعلت الطمأنينة تستكين بقلبها.

★★★★★

وقفت أمام المرآة تنظر لنفسها تُحدث ذاتها ببعض الكلمات لِترفع ثقتها بنفسها وتقتل الخوف الذي يزداد داخلها، سمعت صوت فريدة توجه لها الحديث بالخارج فانبثقت تستمع لِمَا تقوله:
"أنتِ نسيتِ كذا حاجه في البيت يا فيروز ...مش قولتلك قولي لي كل حاجه أنتِ عايزها هكلم معتز".

_"أنا بجد مخدش بالي ونسيت والله".

ربتت على كتفها وابتسمت بحُب:
"ولا يهمك يا فيرو هروح أنا هجبهم".

_"متتأخريش".

_"حاضر يا حبيبتي".

هبطت فريدة للمقهى الخاص بالمشفى لِتجده يجلس عند إحدى الطاولات يحتسي قهوته بشرود توجهت إليه قائلة:
"في حاجات في البيت عايزة اروح اجيبها يا معتز، تعالى وصلني معلش".

ناولها مفتاح السيارة وتفوه بصوت خفيض:
"روحي أنتِ يا فريدة وأنا هفضل مع فيروز، هخلص القهوة وهطلع لها".

_"عُدي لسه مجاش".

أجابها وهو يحتسي من قدح القهوة:
"قالي ساعة وجاي".

فأخذت المفتاح من على الطاولة ورحلت.

★★★★★

كانت تفترش على فراش المستشفى واثنان من المُمرضين ينقلها إلى غرفة العمليات والجميع حولها عدا فريدة، تحدث عُدي وهو يُمسك يدها بقوة:
"متخافيش يا فيروز أوعدك إني هفضل جمبك ومش هسيبك".

أومأت برأسها وأخذت نفسًا عميقًا ثم أخرجته براحه لِينتهي الممر بتلك الغرفة ويأخُذها المُمرضان لِداخلها، أما على الناحية الأخرى جلبت فريدة الأشياء التي كانت ستحتاجها من المنزل وفي طريق عودتها إلى المستشفى اصطدمت بإحدى المارة بالطريق فسقط مُفترشًا على الأرض أمام السيارة فهتفت من داخل السيارة بفزع:
"يا خرابي الواد مات".

ارتجلت من السيارة بسرعة تقترب من ذلك الرجل بخوف ورُعب:
"لا لا بالله عليك قوم هروح في داهية يا راجل".

تجمع الناس من حولهم يُشاهدون ما حدث تحت

مُحاولات إفاقته والخوف يعتريها:
"يا أستاذ ...يا أستاذ حضرتك سامعني؟!".

ثم نظرت لرأسه والدم الذي يسيل منها بغزارة لِتقول بخوف شديد:
"يا لهوي ده دم! ...روحتِ في داهية يا فريدة".

فتح ذلك الرجل أعيُنه بوهن والألم يتملك من جسده بالكامل ونبس بنبرة خافتة:
"ايه اللي حصل! ...أنا فين؟!".

صاحت بسرعة وخوف أكثر:
"لا لا مش وقته فقدان ذاكرة قوم معايا بسرعة نروح المستشفى قوم يلا".

نهض كلاهما وصعدَا للسيارة بمساعدة الأُناس حتى توجهت إلى المستشفى، هبط من السيارة وهي تُساعده على المشي حتى دلفَا للداخل متوجهين إلى غرفة الطوارئ، فسألت فريدة إحدى المُمرضين:
"هو دكتور مالك حسن فين؟!".

_"في الدور الرابع أصل بنت عمه في العمليات".

تشنج وجهها وكأنها ستبكي ثم استدارت لذلك الرجل وقالت:
"خمس دقايق وهاجي تاني".

هز لها رأسها بالموافقة وخرجت سريعًا تبحث عنه وتتلفت يمينًا ويسارًا لعلها تراه هُنا أو هُناك حتى رأته من بعيد يقف مع طبيبٍ آخر فهرولت له بأقصى سُرعة ثم وقفت أمامهما تلتقط أنفاسها:
"مالك أنا خبط واحد بالعربية وتقريبًا الراجل فقد الذاكرة وراسه جابت دم وجبته هنا على طول أنا كده مش هدخل السجن صح؟!".

قهقه ذلك الطبيب التي يقف بجانب مالك على حديثها بينما أمسكها مالك من ذراعها مُبتعدٍ عنه ومتوجه لغرفة الطوارئ هامسًا بنبرة سمعتها:
"يا بنتي هو أنتِ مش بيجي من وراكِ غير المصايب!".

_"والله المرادي ما كنت قاصدة أعمل حاجه".

_"طيب امشي يا ختي قدامي يلا".

وبعد أن أطمئن مالك على حالته وأخبره أنه لم يُصيبه شيئًا وأن جرحه مُجرد جرح سطحي ولا داعي للقلق منه وحين انتهى تمامًا وقفت فريدة أمامه بحرج وتحدثت بصوت خفيض:
"أنا آسفة والله مكنتش أقصد إني أخبطك بـ .. بس حضرتك اللي ظهرت قدامي فجأة".

_"خلاص محصلش حاجه أنا كويس اهو".

_"بجد يعني مش هتروح تبلغ عني في القسم؟!".

_"أبلغ ايه يا ستي حصل خير أنا كويس اهو محصلش حاجه".

ربت مالك على كتف ذلك الرجل بود يشكُره:
"مش عارف اقولك ايه بجد والله شُكرًا بجد، وألف سلامة عليك وتكاليف المستشفى على حسابي".

ابتسم له بتودد ورحل، آتى بعدها ذلك الطبيب الذي كان

يقف معه مُنذ دقائق واستأذنه أن يتحدثَا على انفراد فتحدث بعدها بحرج:
"بصراحة كده شوفت أختك وعجبتني وعايز أجي أتقدم لها".

حدق بهِ مالك بصدمة ثم صاح بهِ بنبرة حازمة وقليلًا من الغضب:
"تتقدم لمين يا دكتور دي خطيبتي!".
★★★★★

تناولت هاتفها من على الطاولة تُجيب على المُتصل،

_"ألو يا روان".

_"ايه يا عمر أنت فين؟!".

_"أنا اللي فين! أختك اللي فين يا ختي؟! ...بحاول اكلمها من الصبح مش بترد".

_"نور في المستشفى مع بابا وماما".

_"ايه ده هو عمو تعبان ولا ايه! في حاجه حصلت؟!".

_"لا لا متقلقش، هي نور محكتش ليك حاجه؟!".

_"لا".

قصت عليه ما حدث فأكمل هو:
"هي دي الـ".

وقبل أن يُكمل قاطعته مؤكدة ظنه:
"ايوه هي يا عمر هي".

فسألها بحرج:
"هو عادي اروح لهم المستشفى ولا بلاش؟!".

_"تعالى خدني يا عمر عشان نروح ..إحنا لسه هنفكر يلا يا ابني".

★★★★★

ألقوا بهِ الرجال على الأرض بقوة فسعل بوهن وضعف بعد أن ابرحوه ضربًا ونال منه ما يُكفيه وأمامه جابر

يجلس على كُرسيه بلا مبالاة، حاول محمد النهوض والوقوف ولكن لن يقدر على ذلك فظل جالسًا مكانه لا يتحرك بينما تحدث جابر بوغر وحنق:
"قعد تطلب مني فلوس ومبطلتش تسحب مني ومش عارف بتاخدها بتعمل بيه ايه وكنت بسيبك قولت تعوضني وتجيب لي عروسة وقولت يا عم ماشي مش هتفرق ولكن ولا فلوس رجعت ولا العروسة جت ده غير التريلا اللي خدها مني من غير نِمر ومعرفش هببت بيها مصيبة ايه وأنا معرفش!".

رحلة علاج

فتحت أعينُها بوهن تُقاوم الإضاءة العالية من حولها التي تُهاجمها، وكان الجميع يُحاوط سريرها ويتفقدها بترقب فكان الأقرب لها عُدي وحين لاحظ إفاقتها اقترب منها أكثر بلهفة لم يُظهرها أمام الجميع أو حتى هي، لِتهتف فريدة بفرحة:
"حمدالله على سلامتك يا فيرو، الحمدلله العملية نجحت".

نظرت فيروز ليد عُدي المُمسكة بها بقوة ثم هربت بمقلتيها وتحدث حسن بدورهِ بابتسامة بشوشة:
"حمدالله على سلامتك يا بنت الغالي يلا فوقي كده عشان تروحي معنا وترجعي بيتك".

نظر له عُدي شرزًا وحدة قائلًا:
"الدكتور قال على الأقل تقعد يوم واحد بعد العملية لحد ما نتأكد أنها كويسة".

لِتقول هي بصوت خفيض أثر ضعفها:
"بس أنا مش عايزة اقعد في المستشفى عايزة أمشي يا عُدي".

أجابها بصوت مُطابق لنبرة صوتها وتغيره الملحوظ أمامها:
"مينفعش يا فيروز تمشي دلوقتي لازم الدكتور يتابع حالتك ويطمن عليكِ ساعتها تقدري تخرجي".

وهُنا انبثق الطبيب لداخل الغرفة وهتف بضيق:
"لا لا يا جماعة ايه الزحمة دي، مينفعش الكلام ده لازم ترتاح وياريت حد واحد بس اللي يقعد معها".

نظرت له فريدة وتفوهت سريعًا:
"أنا هقعد معها يا دكتور".

أضاف عُدي دون النظر لأحد منهم:
"أنا اللي هقعد معها، متتعبيش نفسك يا فريدة".

ربت معتز على كتف شقيقته وأومأ لها بأن هذا أفضل بينما دخل مالك وعلامات الضيق تعتلي وجهه فصاحت

بهِ فريدة بنبرة مُشاكسة:
"اتفقت مع العريس على القايمة يا مالك ولا لسه!".

رفع شفته العُليا باستنكار ونبس بحنق وتبرم:
"اقعدي ساكته بقولك".

_"في ايه اللي حصل يا ولاد؟!".

أردفت زينب بذلك السؤال بحيرة، لِيُجاوب مالك بسخط:
"محصلش حاجه يا ما..".

نطقت فريدة تُقاطعه بسرعة من بين ضحكاتها:
"لا حصل في دكتور زميل مالك شافني وعجبته وكلمه عشان يتقدم لي ومالك راح قاله إني خطيبته".

اقترب منها كأنه ينوي ضربها ولكن وقف معتز حائل بينهما قائلًا بنبرة حادة:
"ايه هتمد ايدك عليها ولا ايه!".

لِتقول فريدة من خلفه مُكملة:
"موافقتش ليه يا مالك اهو ستر الولية احسن من ١٠٠

كلية وأنا الصراحه بقول بلاها تعليم يعني وبيت جوزي أولى بيا ولا أنت ايه رأيك يا زيزو".

رمقها بطرف عينه وأضاف:
"وأنا الصراحه عايز أخلص منها".

زفر بحنق وصاح:
"يا ختي قال يعني أنتِ هتعرفي تفتحي بيت وكمان مكنش هيعجبك".

_"وأنت عرفت منين يا مالك إنه مش هيعجبني بقى!".

عض على شفته السُفلية بسخط وخرج بسرعة من الغرفة بغضب، فضحك حسن على ما يحدث من حوله قائلًا:
"صدقيني مالك عمره ما كان كده وأنا مش عارف اشمعنا أنتِ بالذات اللي مجننها كده".

ابتسمت ببلاهة مُتكلمة:
"أصلي يا حاج واخده شغل الأعمال ده هواية فعملت له واحد بالجِنان".

أغمضت فيروز عيونها بتعب بعدما كانت تُشاهد كل هذا بعدم تركيز فانتبه لها عُدي ثم تحدث بصوت عالي نسبيًا:
"معلش يا جماعة لازم نسمع كلام الدكتور ونسيبها لوحدها احسن عشان ترتاح".

أتفق الجميع معه في الرأي وخرجوا من الغرفة وهو فقط من تبقى معها ومازال مُمسك بيدها ويتأملها بعيون لا تحمل أي مشاعر بداخلها لِيسألها بصوتٍ هامس:
"حاسه بايه يا فيروز؟!".

_"حاسه إن دماغي تقيلة وعايزة أنام ...ممكن تسيب ايدي؟".

أجابته بذلك دون النظر له فترك هو يدها ببطء بدروهِ بتردد وتوجه مفاتيح الإنارة وأغلقها لِيعُم الظلام بالغرفة.

★★★★★

بعد مرور أسبوعين بدأت فيروز أول جلسات العلاج الكيميائي، توجهت في صباح اليوم إلى المستشفى وبرفقتها عُدي الذي أصر على الذهاب معها هو فقط ولا

يصطحبَا أحد معهما فقد بقيت فريدة بالقاهرة في منزل حسن لِتظل بالقُرب منها وعاد معتز لمنزله وعمله.
كانت تجلس بجانبه بالسيارة وهو يتولى القيادة وكالمُعتاد الصمت يعُم بالمكان عدا صوت أنفاسهم؛ لِيقطع ذلك الصمت مُتحدثًا بتساؤل:
"خايفة؟!".

رفعت منكبيها بعدم إدراك:
"مش عارفة، بس دايًما بسمع إن جلسات الكيماوي مش كويسة وبيحصل تغيرات في الجسم بسببه بتأثر بالسلب عليه".

أدام لها النظر مُوضحًا:
"متقلقيش في الأول هتحسي بإرهاق وخمول وساعات حالة غثيان أحيانًا يعني وتغيير في حالتك المزاجية".

نظرت له باهتمام مُتسائلة بفضول:
"أنت عرفت الكلام ده كله منين؟!".

لم يُجيب عليها لِتمُر الدقائق وحينها هتف:
"اهو يلا وصلنا".

ارتجلَا من السيارة دالفَا للداخل وبعد كل الإجراءات كان يجلسان في الغرفة التي ستتلقى بها العلاج، جلس بالكرسي الذي بجانبها والممرضة تقف أمامها تحقن العلاج بيدها ثم رحلت، فهتف بعدها بهدوء وابتسامة مُرتسمة على ثغره:
"متركزيش في أي حاجه ولا تحطي حاجه في دماغك".

ثم أظهر ما بجانب الكرسي الذي يجلس عليه الحقيبة التي تضع بها أشيائها التي تخُص الرسم وناولها إياها:
"يلا ارسمي ورِيني هتعملي ايه".

لاحت ابتسامة على شفتيها وأمسكت بالقلم مُنسجمة في عالمها الخاص تُبدع في رسمتها كما كانت في السابق فلقد اشتاقت للرسم بعد أن انقطعت عنها لمدة ليست بقصيرة، بينما هو كان يتفقدها عن قُرب ومحدق لما ترسمه بتركيز وفضول، حتى انتهت جُرعة العلاج وهي مازالت ترسُم فنبس هو بنبرةٍ هامسة:
"على فكرة جُرعة العلاج خلصت وأنتِ لسه مخلصتيش".

_"خلصت حتى بص".

وجهت الورقة أمام وجهه مُبتسمة تنتظر رأيه بها، لِيُحدق بها بصدمة فكان لا يُصدق مع يراه بانبهار وأن ذلك الإبداع من يُمنها ونسيج خيالها:
"حلوة اوي بجد مكنتش اعرف إنك شاطرة كده".

رفعت حاجبيها بعدم تصديق مُتسائلة بتأكيد:
"بجد حلوة يا عُدي!".

_"لا بجد تحفة، مفكرتيش ليه ترسمي لوحات وتبيعها؟".

أجابته سريعًا:
"لا أنا فعلًا كنت برسم لوحات وابيعها وكان عندي مرسم في اسكندرية بس من ساعة ما جيت هنا وهو مقفول حتى اللوحات اللي فيه متبعتش".

رمقها بابتسامة ثم نهض:
"هروح انادي الممرضة عشان نمشي".

أومأت له وتفحصت رسمتها بتمعن والابتسامة تتسع على محياها.

★★★★★

بعد مرور عدة أيام، في منزل حسن كانوا جميعًا عدا عُدي وفيروز يجلسون حول المائدة لِيتناولوا الطعام، فكانت فريدة تجلس ومُقابلها عمر يتناول ببطئ وينظر لها ببرود ولا مبالاة وهي تُحملق بهِ بتقزز واشمئزاز مُتذكرة ما حدث.

بعد أن تركوا عُدي وفيروز بالمشفى توجهت ناحية السيارة التي بها الفتيات لِتعود معهم للمنزل وقبل أن تفتح الباب أوقفها وتحدث بصرامة:
"راحة فين؟!".

نظرت له بحاجب مرفوع وإلى يده التي يضعها على الباب:
"وأنت مالك يا نجم!، هركب".

_"لا ما أنا عارف بس ده مكاني".

همهمت بضيق وزوت شفتيها للداخل ثم قالت:
"شغل ابتدائي ده بقى، أنت هتركب وسط البنات يعني!".

_"على فكرة دي عربيتي وأنا كنت هقعد جمب عمي حسن".

تأففت بحنق وسخط هاتفة:
"طريقك أخضر، روح أركب مع معتز ومالك ولا أقولك!".

انخفضت قليلًا لِتُصبح في مستوى نافذة السيارة وحدثت حسن الذي يجلس في مقعد القيادة:
"عمي معلش ممكن تروح تركب مع الشباب عشان الأستاذ ده شبطان في العربية بتاعته وخليكِ أنتِ يا طنط زوزو عشان ماشيين ببركتك".

أومأ لها حسن وهبط من السيارة بصمت متوجهٍ للسيارة التي بها الشباب وفتحت هي الباب الأمامي وجلست دون أن تتفوه بأي كلمة، أما عنه راقب ما فعلته بذهول ولكن تَدراك ما حدث وجلس بمقعد القيادة وتحرك عائدًا للمنزل ولكن في طريقهم لم يمُر ما حدث مرور الكرام فلعبت فريدة هوايتها المفضلة، وضعت قدميها على ما يُسمى "الطبلوه" مُمسكة بهاتفها بعدم اكتراث لنظراته لها ثوانٍ وصاح بها بانفعال:

"رجلك يا ما ايه!".

رمقته ببراءة ونبست بنبرة خافتة:
"مالها رجلي؟".

ثار تلك المرة بصوتٍ هادر من ردة فعلها التي استفزته ولم ينتبه لما يقوله:
"ايه هي عريبة أمك عشان تحطي رجلك كده!".

أنزلت قدميها بصمت ولم تستطع الرد عليه، لِيرى لمعة عيناها بالدموع وهي تنظر للنافذة بجانبها وبالخلف كان الفتاتان وزينب يُشاهدَا ما يحدث فوكزته نور في كتفه بتبرم بينما تحدثت زينب بحدة وعتاب:
"ميصحش كده يا عمر، معلش يا حبيبتي ميقصدش".

ومدت يدها تُربت على كتفها فوضعت كفها على يدها:
"محصلش حاجه يا طنط".

لِتعود بذاكرتها للوقت الحالي ونهضت من على الطعام تحدق بهِ رافعة شفتها العُليا بتقزز:
"نفسي اتسدت".

وشوش حسن زينب التي تجلس بجانبه بهمس مُتسائل:
"هو في ايه يا زينب؟".

_"هبقى أقولك بعدين يا خويا".

وحينما رآها مالك نهض ورائها لِيجدها تقصد سطح المنزل لِيذهب خلفها، وجدها تجلس شاردة تنظر أمامها بهدوء فجثا هو أيضًا على بُعد خطوات منها وصمت لعدة ثوانٍ ثم تحدث:
"عاجباكِ القاهرة؟".

لم تُلقي له نظرة وأجابت:
"دوشة ..هي اسكندرية بردوه زحمة وخصوصًا في الصيف بس مش زي هنا".

حك رقبته من الخلف وألقى بسؤاله:
"الصراحة كنت عايز اسألك على حاجه".

التفت له باهتمام وأشارت بأعيُنها بالموافقة فأكمل مُستردًا:
"هو ايه اللي حصل لما ركبتِ مع عمر؟! حسيتك

متغيرة كده أو في حد زعلك ...حصل حاجه؟!".

لاحت ابتسامة على محياها ثم أخذت نفسًا عميقًا:
"متشغلش بالك يا مالك".

وحدقت بما أمامها مُجددًا ففعل مثلها وزفر براحه لِيقول دون النظر لها:
"فريدة، أنا بحبك".

رمشت بعينيها مرات عدة غير مُصدقة ما سمعته للتو:
"قولت ايه!".

_"متسألنيش ازاي وامتى عشان معرفش! بس من ساعة ما شوفتك وأنا تشديت ليكِ وما بصدق افتح معاكِ كلام ولما رجعتِ اسكندرية كنت مفتقدك اوي، بُعدك حسيته ساب فراغ في حياتي".

لم تستطع إخفاء ابتسامتها مُحاولة الهرب بأعيُنها بخجل بألا تُقابل خاصته فتسائلت بفضول:
"ولما رجعت حسيت بايه؟".

"قلبي كان بيزغرط مش مبسوط بس".

رفع كلتا حاجبيها بدهشة ممزوجة بسرور اخفته فأضاف:
"حسيت ساعتها إن روحي رجعت لي من تاني أول ما شوفتك ...صدقيني فكرت أصارحك كذا مرة بس كنت قلقان من ردة فعلك".

وسكت ولم يُكمل بانتظار إجابتها، أرجعت خُصلة من شعرها خلف أذُنها وهتفت بصوت خفيض:
"مش بيقولك اللي يحبك يلغيك؟".

حملق بها بصدمة وعدم تصديق والابتسامة لم تُمحى من على ثغره:
"قصدك إن ....".

نهضت متوجهة للأسفل ورفعت من نبرة صوتها حتى يسمعها من بعيد:
"زي ما تفهم بقى، سلام".

★★★★★

وقفت أمام الحوض الخاص بالمرحاض تتقيأ وتُفرغ ما في معدتها ويقف عُدي بجانبها يُزيح خُصلات شعرها عن وجهها يستوضح:
"حاسة بايه؟!".

أجابته بصوت هامس أثر تعبها:
"تعبانه".

انبثقت خارج المرحاض تتكئ عليه لِتخرج لغرفته فكان ذلك المرحاض مُلاحق لغرفة عُدي ولكن قبل أن تفترش على الفراش خذلتها ساقيها ولم تقدر الوقوف عليهما فلحقها عُدي قبل أن تسقط وحملها بين ذراعيه ووضعها على الفراش ماسحًا على شعرها بلطف:
"ارتاحي شويه وبعدين هوديكي اوضتك".

ظلَ مُقتربًا منها حتى يسمع صوتها المنخفض لِتقول:
"لا خليني هنا".

وخبأت وجهها بالفراش وسكتت فوقف هو مرة أخرى متوجه للخارج يقصد المطبخ:
"طيب هروح اعملك حاجه تاكليها وتفوقي كده".

_"لا مش عايزة أكل مليش نفس لحاجه".

صدر صوتها بإرهاق ووهن فتكلم هو بصرامة وحزم لا يقبل النقاش:
"إحنا مش اتكلمنا في الموضوع ده كذا مرة يا فيروز الأكل الحاجة الوحيدة اللي هتساعدك وإن العلاج هو اللي عامل فيكِ كده واوعي تكوني ضعيفة أبدًا قدام المرض ولازم تبقي قوية وتوجهي!".

_"ممكن تيجي هنا".

اقترب من الفراش وارتخى بنصف جسده عليه مُقتربًا منها فاقتربت هي منه أكثر مُتشبثة بملابسه تُخبأ وجهها بصدره تذرُف العبرات من مقلتيها قائلة من بين شهقاتها المكتومة:
"تعبت يا عُدي ..تعبت اوي".

مسد على شعرها برفق مُتحدث بنبرة منخفضة:
"صدقيني بعمل ده لمصلحتك غير كده الفترة دي مش هتعدي، بس طول ما أنتِ بتسمعي الكلام الفترة دي هتعدي ومش هتحسي بيها يا فيروز".

رفعت عيناها تنظر له من بين دموعها مُنادية باسمه:
"عُدي".

أدام لها النظر مُنتظر سؤالها:
"نعم؟".

"أنت لسه بتحبني يا عُدي؟!".

صمت دام لدقائق ولم يستطع الإجابة عليها لِيبتعد عنها قليلًا بعدها هاتفًا بنبرة خالية من أي مشاعر:
"هقوم اعملك الأكل يا فيروز".

★★★★★

كان معتز مُمسكًا بهاتفه يوجهه أمام وجهه حتى يرى شقيقته والابتسامة لا تُفارق شفته:
"عاملة ايه يا حبيبتي، وحشتني اوي".

بادلته الابتسامة وصاحت بفرحة حين رأته:
"أنت اللي وحشتني اوي اوي، عارف تعيش من غيري يا زيزو؟".

_"ده الدنيا هنا روقان على الأخر ومفيش لا وَش ولا دوشة ومفيش حد يقرفني كل شويه".

_"يا خسارة كنت هقولك كلها يومين وهرجع إسكندرية".

_"هتيجي امتى؟!، هاجي اخدك".

_"متأكد إنك مش عايزني أجي؟!".

_"الصراحة البيت وحش من غيرك يا حبيبتي تحسه مضلم كده من ساعة ما أنتِ وفيروز مبقتوش فيه".

ردت عليه بنبرة كأنها أوشكت على البكاء:
"يا عيوني أنت، اطمن بس على فيروز واقولك تعالى خدني واهو بالمرة تشوف المُزة بتاعتك".

زوى ما بين حاجبيه بتعجب وتساؤل:
"مُزة ايه؟!".

_"روني يا زيزو ايه!".

_"بس يا بت مفيش حاجه على فكرة أنتِ اللي دماغك تعبانه".

_"ماشي ماشي هنشوف".

_"فيروز عامله ايه صحيح ...كويسة؟!".

_"كويسة يا حبيبي متقلقش، بقولك ..".

نظر للهاتف بتركيز قبل أن يُقاطعها قائلًا:
"ثواني يا فريدة في حد بيرن هشوف في ايه واكلمك تاني".

أومأت له قبل أن تُغلق المُكالمة وأجاب هو بسرعة لِيأتيه صوت رجل قائلًا:
"معتز محمد بسيوني معيا؟!".

_"ايوه، مين حضرتك؟!".

_"كنت عايز أقول لحضرتك إن والدك أتمسك في القسم بتهمة قتل".

كان يقف بالمطبخ يُعد وجبة الإفطار دون ملل بجانبه موسيقى هادئة اعتاد على سماعها، أما بالخارج وتحديدًا داخل غرفة فيروز كان تقف أمام المرآة تُمشط شعرها الذي يتساقط بغزارة أثر تلقيها العلاج فكان يسقط من جذره، أمسكت الخُصلات المُتكومة بيدها بحسرة وحزن تملأ العبرات عيناها فقبضت على راحة يدها بضيق لِتخرج بعدها من غرفتها مُتجهة لغرفة عُدي تجلب منه شيءٍ ما حتى هو لاحظ تحركها لغرفته من داخل المطبخ فانبثق من الداخل بعض الخُطى يتفقد ما تفعله لِيجدها تأتي نحوه وبيدها ماكينة حلاقة الشعر الذي يستعملها فعقد حاجبيه بتعجب وتساؤل:
"بتعملي ايه بالمكنة اللي في ايدك دي يا فيروز؟!".

مدت يدها بها تُقربها منه ففهم سريعًا ما تُريد فعله لِيصيح بعدم تصديق:
"لا يا فيروز استحالة أعمل كده، أنسي".

مدت يدها الأخرى وفتحت قبضتها تُبرز الشعر المُتساقط بها قائلة بحدة:

"وأنا مش مستعدة اشوف المنظر ده كل يوم!".

هز رأسه بالرفض كأنه ينفض تلك الفكرة من رأسه يهتف بنبرة لا تقبل النقاش:
"ولا مستحيل اعمل شيء زي ده بجد".

قبضت على يدها المُمسكة بالشعر مرة أخرى وابتعدت عنه تقصد غرفتها تنبس بنبرة باردة:
"خلاص شكرًا لمساعدتك أنا هعمل كده لوحدي".

نادى باسمها يُوقفها قبل أن تقترب من الباب:
"فيروز استنى!".

ثم أخذ نفسًا عميقًا وأخرجه بضيق قائل:
"هعملك اللي أنتِ عايزاه".

وقفت أمام المرآة وهو خلفها يُمسك بماكينة الحلاقة يُزيل شعرها كله والدموع تنهمر على وجنتيها بكثرة لا تتوقف تضع كفها على محياها تمنع شهقاتها التي تدل على حسرتها وتعاستها، أما بالنسبة له هو ينظر لها بحزن وقلة حيلة والندم على تلك الفكرة تملأ رأسه ولكن

هي مُحقة فـ بالنسبة لفتاة فشعرها هو أعز ما تملكه ويُزينها وفكرة سقوطه بتلك الطريقة تُشعرها بالحزن أكثر مما تشعر بهِ لذا تُقرر حلقه بالكامل حتى لا ترى ذاك الكابوس كل يوم.

وحينما انتهى تمامًا كفّت عن البكاء ونظرت له من خلال المرآة ودموعها تتساقط رغمًا عنها، إلتفتت إليه بأعيُن دامعة وعانقته تدفن رأسها في صدره تكبح دموعها أدرك ما فعله ثوانٍ وربت على ظهرها بمشاعر مُختلطة يُردف بنبرة هادئةً:
"أنا آسف بجد يا فيروز بس أنتِ اللي عايزة كده".

هزت رأسها بالرفض يُمنة ويُسرة وتكلمت بصوتٍ مكتوم نتيجة وجهها الذي تُخبئه بصدره.
★★★★★

دخل معتز فجأةً كأنه يقتحم منزل حسن تحت دهشة وذهول جميع الموجودين، يتنفس بصوتٍ مُرتفع يلهث بصعوبة كأنه قد كان في سباق؛ بدا عليه علامات التوتر حملقت بهِ فريدة بقلق على حالته تلك:
"مالك يا معتز في ايه؟!".

تجاهلها تمامًا ونظر لحسن الواقف من بعيد هاتفًا بنبرة مرتجفة:
"عمو حسن أنا عايز أتكلم أنا وأنت لوحدنا".

عقدت فريدة حاجبيها بتعجب مُتسائلة:
"في ايه يا معتز!".

هز رأسه بالرفض كأنه يقول لا يوجد شيء:
"مـ ...مفيش يا فريدة".

اقترب حسن منه يُربت على كتفه قائل:
"اهدى يا معتز يا ابني تعالى معيا".

توجه حسن ناحية غرفة المكتب ويتبعه معتز حتى دخلَا الاثنين وخلفهما زينب حتى تطمئن عليه في تلك الحالة، جلس حسن ومعتز مُقابله أما عن زينب فوقفت خلف كرسي حسن بهدوء، نطق معتز بنبرة متوترة وقلقة:
"من يومين جالي تليفون من واحد بيقولي إن بابا اتقبض عليه بتهمة قتل".

ضربت زينب على صدره بشهقة مكتومة:

"يلهوي!".

نظر لها حسن شرزًا فخُرست لِيُشير بأعيُنه لمعتز بأن يُكمل حديثه؛ فبلع معتز ريقه بدورهِ مستردًا:
"لما روحت له القسم عشان افهم في ايه أنكر التُهمة اللي عليه ومش راضي يقول الحقيقة بـ ...بس بعد ما دورت كويس عشان أفهم في ايه ..عرفت إنه هو اللي كان سايق التريلا اللي خبطت العربية اللي كان فيها ماما جميلة وعمو مصطفى وإن اللي بلغ عليه هو الراجل اللي خد منه التريلا ذات نفسه".

كان كلاهما صامتًا تحت صدمتهم مما ألقى بهِ على مسامعهم للتو بعد تصديق حتى هتفت زينب بحقد وتشفي:
"أحسن يستاهل ربنا ينتقم منه أشد انتقام، الحمدلله حق جميلة ومصطفى رجع يا حسن".

لم يستطع حسن على نُطق كلمة واحدة حتى واحد نقر على باب مع دخول روان وبيدها كأس ليمون مُردفة:
"آسفة يا بابا أني دخلت بس كنت جايبة عصير ليمون لمعتز يهدي أعصابه عشان باين عليه متوتر".

وضعت الكأس على المنضدة الصغيرة أمامه بهدوء ثم خرجت سريعًا دون التفوه بكلمة أخرى، لِتقول زينب بعدها:
"والعمل دلوقتي يا حسن؟!".

رفع عيناه من على الأرض ثم قال:
"طالما في إثبات على كلام الراجل ده يبقى محمد لبس القضية ومش هيعرف يخرج منها غير لما الراجل اللي خد منه التريلا ده ينكر اللي قاله ...بس ده مش مهم عندي، المهم أنك أوعى تعرف فيروز أو فريدة وبالذات فيروز باللي حصل عشان حالتها هتسوء لو عرفت على الأقل مش دلوقتي".

اتجهت زينب له تُربت على ظهره وتُمسد بيدها الأخرى على شعره بشفقة على حالته وما علمه، ثوانٍ واقتحمت فريدة الغرفة بقلق صائحة:
"في ايه يا معتز مالك؟!!".

أردف حسن بدلًا عنه:
"مفيش يا فريدة في بس حبة مشاكل في الشركة وإحنا بنحلها سوا، متقلقيش".

حدقت بشقيقها حتى يُأكد لها ما أخبرها بهِ:
"بجد؟!".

مسح بيده أسفل أنفه وأضاف:
"ايوه بجد يا فريدة".

هتفت مرة أخرى ومازالت أعيُنها مُعلقة على معتز:
"طيب أنا راحة أنا والبنات عند فيروز نقعد معها شويه، ماشي؟".

هزت زينب رأسها بالموافقة قائلة:
"ماشي يا حبيبتي، خلي بالكوا من نفسكوا".

★★★★★

طرق عُدي على باب غرفة فيروز بهدوء وحماس في ذات اللحظة:
"فيروز تعالي اوريكي حاجة مهمة".

مرّت لحظات حتى فتحت له الباب مُتسائلة:
"في ايه يا عُدي".

أمسك بيدها سريعًا يجذبها لإحدى الغرف المُغلقة مُنذ وصولهما للمنزل، وحين وقفَا أمام بابها ترك يدها ولاحت الابتسامة على شفاه قائلًا:
"غمضي عينك الأول".

عضت على شفتها السُفلية بفضول مُبتسمة:
"بدأت اقلق على فكرة، أوعى تحبسني جوا أنت عارف إني بخاف".

قهقه على ما قالته ويده على مقبض الباب:
"لا متخافيش أنا عارف، غمضي عينك بس".

فعلت مثلما أمرها وفتح الباب هو ببطء يسحبها إلى الداخل بتمهل حتى لا تتعثر:
"بس اوقفي هنا ..شيلي إيدك بقى".

رفعت كفوفها من على جفونها مُحدقة بالذي تراه أمامها وابتسامتها تتسع على ثغرها:
"ده بجد يا عُدي؟!".

هز رأسه تأكيدًا نابسًا:

"بجد يا فيرو".

ابتسمت مرة أخرى على اسمها الذي يُناديها بهِ فهي لم تسمعه منه مُنذ زمن بعيد، أما بالنسبة للذي تحتوي بهِ الغُرفة فهو كان مرسم صغير يُشبه مرسمها الذي بالإسكندرية بنفس ألوان الحوائط وترتيب كل شيء بهِ فكان لا يختلف فيه شيئًا عن ذي قبله، عانقته بقوة مُشددة من ذلك العناق كشُكر على فعلته تلك فقالت بنبرة هامسة:
"مش عارفة اقولك ايه بجد يا عُدي بجد".

وابتعد سريعًا متوجهة لغرفتها تجلب شيئًا ما، بينما سمع عُدي دقاتًا على الباب، فهتف بصوتٍ مُرتفع من بعيد حتى تسمعه فيروز من داخل غرفتها:
"مستنية حد ولا ايه؟!".

آته صوتها من بعيد هاتفة:
"اه فريدة والبنات قالوا أنهم جايين".

توجه ناحية باب المنزل يفتحه وما إن ظهرت الفتاتان أمامه فاندفعَا لِعانقه بحُب وفريدة تقف على بُعد خطوات منهم، ثوانٍ ودلف ثلاثتهم للداخل في نفس ذات اللحظة

التي وثبت فيروز من غرفتها واضعة قلنسوة الخاصة بسترتها تُخفي بهِ فعلتها بالصباح لِتقول فريدة مُمزحة:
"على فكرة الجو حر على اللي أنتِ لابسها ده".

وكزتها في كتفها وقصدت الأريكة لِتجثو عليها:
"مالكيش دعوة يا رخمة أنتِ".

جلسن الأربعة فتيات يتسامرون مع بعضهن بينما رحل عُدي لِيبتاع بعض حاجِاتهم، دقائق والفتيات يضحكن حتى رفعت فيروز قلنسوة سترتها وظهرت رأسها التي حلقتها فحدق ثلاثتهم بصدمة وإذبهلال؛ لِتنظر لهم فيروز باهتمام على ردة فعلهن وعينها تلمع بالعبرات تهمس بخفوت:
"شكلي وحش صح؟!".

عانقتها فريدة بسرعة تمنعها عن قول ذلك مرة أخرى:
"لا طبعًا متقوليش كده تاني، أنتِ زي القمر على طول".

ففعلت الفتاتان مثلها وعانقها حتى يُخففَا عنها حُزنها، بينما ابتعد فريدة عنهم عندما سمعت صوت رنين هاتفها

قرأت اسم المتصل لِتجده إحدى صديقاتها وحين أجابت صدر صوت صديقتها قائلة:
"ألو يا فريدة، كنت عايزه أقولك على حاجه مهمة".

_"ايه يا حبيبتي؟!"

_"أصل عرفت إن باباكِ دخل السجن بتهمة قتل".

_"مين اللي قالك الكلام ده؟!".

★★★★★

بعد مرور ثلاثة أيام كانت فيروز بغرفة عُدي تعبث بأغراضه في غيابه باحثة عن شيء قد نسيته من فترة هُناك، ظلت تبحث بين أغراضه بحيرة تفتح إحدى الأدراج بتأفف وضيق حتى وجدت بعض الأوراق خاصة بالمستشفى لا علاقة هي بها وكأن صاحبها أجرى بعض التحاليل وكانت تلك هي النتيجة دققت باسم صاحبه المكتوب لِتجده باسم عُدي، زوت ما بين حاجبيها بتعجب ودهشة وأخذت الملف كله إلى غرفتها بعد أن أعادت كل شيء كما كان، جلست على الفراش تُفتش بين الأوراق حتى تفهم أي شيء عن ما هو

مكتوب ولكن بدون جدوى، خبأته تحت الوسادة سريعًا حين سمعت صوت تخبُط المفاتيح ببعضها أثر وضعها في مكانها بالباب مع دخول عُدي وهو يتجه ناحية غرفتها قائلًا بصوتٍ مُرتفع يُذكرها بموعدها غدًا:
"بكره معاد الدكتور بتاعك يا فيروز متنسيش".

أجابته بصوتٍ مُماثل:
"متقلقش فاكرة".

★★★★★

أثناء ذلك كان هُناك مُشحنة بين فريدة ومعتز ولكن بمنزل حسن، يقفان أمام بعضهما في إحدى الغرف وفريدة مُصممة على ما تريده ما تبغى معرفته صائحة بضجر:
"بردوه مش عايز تقولي يا معتز!".

زفر بضيق واستدار لها حتى أصبح وجهه مُقابل وجهها تمامًا:
"تقولي محمد اتقبض عليه ليه؟!!".

مسح على وجهه بتبرم وضيق:

"مسمهوش محمد ده أبوكِ يعني اسمه بابا ومعرفش هو مقبوض عليه بتهمة ايه".

وجلس على الفراش الذي خلفه أما هي فابتسمت باستهزاء وردت عليه بحقد:
"كداب، ثانية بس هو محمد ضحك عليك أنت كمان ولا ايه! ..مش أنت اللي كنت بتقولي أنه مجرد اسم بس في البطاقة وأنه غير مسؤول أنه يكون أب عشان كده خليتنا نعيش عند ماما جميلة ...نسيت ولا محتاج أفكرك يا معتز".

ثم أكمل بإصرار:
"بقالي تلات أيام بتحايل عليك تقولي هو مقبوض عليه ليه وأنت تقولي معرفش وأنا متأكدة أنك عارف ...ومش بس كده ده في نفس اليوم اللي عرفت فيه أنت جيت وفضلت تتكلم مع عمو حسن وفي الآخر تقولي مشاكل في الشغل ...بتخبي عليا ليه يا معتز في ايه!".

_"قولت لك معرفش يا فريدة حلي عني بقى".

_"لا تعرف! ..عشان خاطري قولي يا معتز".

نهض من على الفراش وصاح بصوتٍ هادر مُقتربًا منها حتى كسا الأحمرار وجهه:
"محمد اللي قتل ماما جميلة وعمو مصطفى يا فريدة".

جحظت عيناها بتوجس وعقلها لا يستوعب ما قاله للتو، هُنا فتح مالك الباب بهدوء قائل:
"صوتكم عالي في ايه؟!".

حدقَا الاثنين بهِ بنفس ذات النظرة والعبوس، انجلى الغضب على كامل ملامحهما؛ لِينظر لهم بعدم فهم لما يحدُث.

★★★★★

جلست روان أمام والدها باحترام تتحدث بنبرة خافتة:
"بابا كنت عايزة أقولك على حاجة مهمة".

ترك ما بيده ونظر لها بانتباه واهتمام:
"نعم يا حبيبة بابا".

عقدت أناملها ببعضها قائلة بتوتر:
"كنت عايزة أنزل أشتغل".

أومأ لها بتفهم ثم أردف:
"وماله يا حبيبتي، بس هتشتغلي فين؟ ...تحبي تنزلي معيا الشركة".

أجابته سريعًا كأنها تُجهز ردها مُنذ البداية:
"لا في الشركة اللي في إسكندرية".

عقد ما بين حاجبيه بعبوس:
"اسكندرية! وأنتِ ايه اللي يوديكي هناك ما اللي هنا هي اللي هناك".

_"بالظبط، بس هما هناك محتاجين موظفين وأنا مش عايزة أكون هنا كملة عدد هما هناك محتاجين فليه مروحش".

_"بس بعيد اوي يا حبيبتي وهتروحي هناك لوحدك! وهتقعدي فين؟!".

_"على فكرة أنا بقيت كبيرة واقدر أتحمل مسؤولية نفسي ومش هبقى لوحدي يعني ده حتى معتز وفريدة هناك وبالنسبة هقعد فين ...مش إحنا كان عندنا شقة

جنب شقة عمو مصطفى هروح أقعد فيها هناك وهبقى جنب فريدة، عشان خاطري أرجوك وافق".

زفر براحة وقلب عيونه يُفكر في الأمر مليًا لِينطق بعدها بهدوء:
"موافق يا روان، بس توعديني إنك تخلي بالك من نفسك هناك".

★★★★★

في اليوم التالي داخل المشفى كانت كلًا من عُدى وفيروز يجلسان أمام الطبيب بمكتبه يُطمئنهم على حالتها وتحسُنها الملحوظ مع إكمال جلسات علاجها، ألقت ابتسامة لِعُدي بفرحة فبادلها الابتسامة وتحدث وهو يستقيم من على كرسيهِ:
"الحمدلله أنك بخير وإن شاء الله حالتك هتفضل كده لحد ما تخلصي جلسات الكيماوي، هنزل أجيب العربية لحد ما أنتِ تنزلي".

أومأت له وتركهما الاثنين، ثوانٍ مرّت حتى تفوهت فيروز وهي تمُد يدها بذلك الملفً والأوراق التي عثرت عليها بالأمس مُتسائلة:

"معلش يا دكتور كنت عايزة أعرف التحاليل دي بتقول ايه؟ لأن حقيقي مش فاهمة".

أخذ منها الأوراق وعدل من موضع نظارته يُدقق بهم حتى قال دون النظر لها مُركزًا بتلك الأوراق:
"حالة صاحب التحاليل دي متأخرة ومش كويسة خالص عنده كانسر في الدم وللأسف زي ما قولتلك حالته متأخرة جدًا يعني المسألة كلها مسألة وقت".

بلعت غصة مريرة عالقة بحلقها بصدمة لا تُدرك هل ما تسمعه حقيقي أم لا؟

مدت يدها بالملف وتلك الأوراق حتى أصبح مُقابل وجهه تهتف بحدة:
"ممكن تفهمني ايه ده؟!".

انتشل منها الأوراق بعنف مُتسائلًا بغضب:
"أنتِ لقيتهم ازاي!".

تحولت معالم وجهها كلها للعبوس والضيق:
"أظن مش مهم بالنسبالك وأنا دلوقتي اللي بسألك، الكلام ده بجد!".

زفر بضيق وانخفضت نبرة صوته بشكل ملحوظ قائلًا:
"اه بجد يا فيروز ارتحتي!".

تراءت كل مكان حوله عدا هو بعدم تصديق تتحدث بخفوت:
"يعني ايه يا عُدي ده بجد ازاي!".

_"فيروز مش عايز ولا قادر اتكلم دلوقتي ..نبقى نتكلم بعدين".

استدار للناحية الأخرى حتى يخرج من الغرفة ولكن أمسكته من ذراعه سريعًا تقف أمامه بصمود:
"لا لازم نتكلم دلوقتي، ازاي سبت نفسك توصل للمرحلة دي يا عُدي للدرجادي مستغني عن عمرك طب وأهلك يا عُدي طـ ...طب أنا! مش عايزني، أرجوك رد عليا".

لم ينبس ببنت شفة وملامحه يعتلي عليه الجمود والحدة، أدامت النظر له لعله ينطق بشيء واحد يُفسر ما يفعله ولكن دون أي ردة فعل لِتضربه بصدره بكلتا يديها بغضب دفين تجز على أسنانها:
"رد عليا يا عُدي للدرجادي أنا مش فارقة لك ايه نسيت فيروز!".

قبض على كلتا يديها بلا مبالاة وأجابها بما أوقد نار قلبها أكثر دون حتى أن ينظر لها:
"كفاية عصيبة يا فيروز عشان غلط عليكِ الأحسن أنك ترتاحي دلوقتي".

امتنع هو عن النظر لها حتى لا يتأثر بعينها اللامعتان التي تتساقط منها العبرات رغمًا عنها؛ لِجن جنونها أكثر:
"بص في عيني وقولي أنك بطلت تحبني وإني مبقتش فارقة لك صح؟!".

_"فيروز متضغطيش عليا".

_"طب قولي اتغيرت ليه معيا؟".

تنفس الصعداء وجثا على الفراش من خلفه يُقرر أن يُخبرها بكل شيء:
"فاكرة لما سافرت سنتين برا".

هزت رأسها عدة مرات سريعًا تُجيب وهي تجثو على الأرض أمامه بركبتيها:
"ايوه فاكرة".

_"سافرت ساعتها عشان أتعالج بعد ما عرفت إني عندي كانسر في الدم ..متسألنيش ليه مقولتش لحد لأن أنا أصلا مش عارف ليه خبيت ومحدش يعرف

بالموضوع ده نهائي قولت إني هشتغل هناك فترة وأرجع بس أنا روحت عشان أتعالج وخلصت كل جلسات الكيمياوي وقعد فترة لحد ما بقيت كويس ورجعت تاني، بس من ٥ شهور بس عرفت أنه رجع لي تاني والحالة المرة دي مش أحسن من اللي قبلها أظن أنك مجربة الوجع والتعب فقولت مفرقتش أهو أعيش الباقي من عمري وأنا مبسوط ومن غير وجع أو تعب".

كانت عيناها تذرف العبرات وهي تستمع لكل كلمة يقولها وكم المُعاناة التي ذاقها بمفرده فهي تمُر بكل ما مرّ بهِ وتعلم الأحساس الذي تحدث عنه لملمت شتات نفسها وهتفت:
"بس أنت لازم تاخد الجلسات يا عُدي عشان تفضل مع أهلك ...وعشان تفضل معيا".

_"إنسي يا فيروز أنا خلاص واخد القرار من زمان أنا بس حكيت لك عشان كنتِ مصممة تعرفي".

لِتُغير مجرى الحديث لِتعود إلى ما آلمها طوال السنوات الماضية والصدع الذي يسكُن قلبها وظل يئن في كل مرة تسمع اسمه في غيابه أو تراه فيه:

"ورجعت من هناك متغير وكأنك نسيت فيروز اللي كنت بتحبها من وهي صغيرة ونسيت الأحلام اللي كنت عايز تعيشها معها زمان بطلت تحبها".

كيف يُخبرها أنه ترك قلبه معها مُنذ رحليه أول مرة
كيف سيُخبرها أنه مُنذ تلك اللحظة وهو تائه يبحث عن ذاته ولم يجدها سوى معها فقط كيف يُصراحها بذلك:
"مكنش في أصعب من فراقك عليا ساعتها يا فيروز صدقيني من ساعتها وأنا بحاول ألقي نفسي في أي حتة بس كلها كانت بتوصلني ليكِ في الأخر، حاسس إني رجعت عُدي تاني بتاع زمان".

_"بس مش أنت عُدي اللي كنت أعرفه وعمري ما اتخيلت اشوف منك القسوة دي".

_"وأنا عمري ما قسيت عليكِ".

_"لا قسيت لما بقيت تعاملني بجفة ..قسيت لما مكنتش مصدق أنك هتتجوزني غصب وإن ده أصلا كانت أمنية حياتك قسيت عليا وقت رجوعك".

_"عشان أول حاجه جت في بالي أننا ممكن نقرب من

بعض تاني وتتعلقي بيا أكتر في الأخر أموت".
_"أنا عمري في يوم ما تعلقي بيك أقل ولا بطلت أحبك مع كل اللي عملته ده".

استقام من على الفراش دليلًا على إنهاء حديثه قاصدًا الخروج من الغرفة ولكن وقفت هي الأخرى توقفه صائحة:
"هترجع تاخد علاجك يا عُدي وتخف عشان أنا مش هسيبك".

أمسك بمقبض الباب صامتًا لثوانٍ ثم قال:
"قولت لك مش هرجع تاني للوجع برجلي وخد القرار خلاص".

عادت دموعها مرة أخرى تنهمر على وجنتيها تقول من بين شهقاتها:
"بس أنا مليش غيرك يا عُدي من بعد بابا وماما، لو سبتني وروحت معهم هبقى لوحدي ...عشان خاطري متسبنيش لو لسه بتحبني بجد متسبنيش".

وقبل أن يلتفت لها ويأخذ القرار النهائي لمصيره سمع صوت اصطدام بالأرض؛ فسقطت مغشيًا عليها أثر

غضبها.

★★★★★

داخل المستشفى، كانت مُتمددة على الفراش فاقدة للوعي وبجانبها عُدي يُشدد الإمساك بيدها يلوم نفسه مئات المرات على ذلك الحديث الذي جعلها تأتي إلى هُنا بسببه، بجانب من معه بالغرفة منتظرين أن تفيق حتى يطمئنوا على حالتها؛ دقائق مرت وفتحت أعيُنها بوهن أثر قوة الضوء بالغرفة فاقترب عُدي منها سريعًا يهتف بلهفة:
"فيروز أنتِ كويسة؟! ..حاسة بحاجة؟ في حاجه وجعاكِ".

ربتت على يده المُمسكة بيدها وقالت بصوت خفيض:
"متقلقش أنا كويسة".

اقتربت زينب من فراشها قائلة:
"ايه اللي حصل يا حبيبتي؟!".

تمعن عُدي بالنظر لها يترقب جوابها فألقت هي إليه نظرة ثم ردت:

"مفيش يا طنط أنا بس تعبت شويه وعُدي جابني على هنا".
فأردف حسن بدورهِ:
"ألف سلامة عليكِ يا غالية، تعالي معيا يا زينب ونسيبهم مع بعض".

أومأت له وخرجَا كلاهما من الغرفة فنظر لها عُدي دون حديث، فأخذت هي نفسًا عميقًا تملئ بهِ رئتيها ثم تفوهت:
"متقلقش مش هقول لحد على اللي حصل وطالما أنت مش ناوي تتعالج يبقى اللي أنا سمعته منك النهارده كأنه متقالش".

لاحت ابتسامة على ثغره واخفض نظره للأرض يُكمل حديثها:
"للأسف أنتِ حلفتيني بالغالية، والغالية طلباتها كلها أوامر ...ومفيش أغلى من فيرو عند عُدي".

تأملته بعد تصديق والابتسامة تتسع على ثغرها، فاقترب هو منها يفتح ذراعيه يُطالب بعناق فاندفعت هي بدورها تُشدد من عناقها له ببهجة.

★★★★★

بعد مرور عدة أيام في منزل معتز كان مالك وحسن متواجدان بهِ حتى يتقدم مالك لِخُطبة فريدة التي لم يكُن لها علم بذلك الأمر.

همَ حسن بالحديث قبل مالك قائلًا:
"والله أنا مش عارف الواد ده جايبني من القاهرة لحد هنا عشان فريدة وأنتوا أصلا كنتوا عندنا من كام يوم".

_"والله يا عمو حسن لو كنتوا عايزين تاخدوها من وهي هناك فأنا كنت هوافق عادي".

هتف مالك سريعًا:
"خلاص طالما مستغني عنها هاتها بقى أنا عايزها".

وكزه معتز في فخذه بحنق وتبرم:
"لاحظ أنك بتتكلم عن أختي ها!".

_"خلاص آسف، مش محتاج بقى أقول الكلمتين اللي بيتقالوا على طول أنت كده كده عارف إحنا جايين ليه".

_"فريدة حكيت لي على كل حاجه وأنا الصراحة موافق بس في الأول والآخر الرأي رأيها".
ونادى عليها بصوتٍ مُرتفع حتى تسمعه، فانبثقت من غرفتها حتى تستفسر عما يُريد لتتفاجأ بوجودهما فعقدت ما بين حاجبيها بدهشة وتعجب:
"ايه ده في ايه؟".

نظر لها معتز بانتباه يُوضح ما بالأمر:
"عمو حسن ومالك جايين طالبين أيدكِ لمالك ...موافقة يا حبيبتي".

جرت أعيُنها على ثلاثتهم تُفكر لثوانٍ لِتقول بعد مدة وجيزة بحدة:
"لا مش موافقة".

وهربت لغرفتها سريعًا دون التفوه بكلمة أخرى، بينما حدق بها ثلاثتهم بصدمة وإلى طيفها الهارب وعلى رأسهم مالك الذي لم يُصدق ردة فعلها ورأيها بعد أن تأكد منها أنها تُبادله نفس الشعور؛ حمحم معتز بحرج مسترد حديثه ويُبرر ما حدث:
"أنا آسف والله يا جماعة بس أكيد في حاجه غلط لأني

لما سألتها أول مرة قالت أنها موافقة مبدئيًا عليك يا مالك".

أما هي فدخلت إلى غرفتها تبكي.

★★★★★

في اليوم التالي، كانَا عمر ونور جلسان في إحدى المقاهي الهادئة الغير مزدحمة بالزبائن؛ فلقد كان ذلك هو مكانهما المعهود الذي يتقابلَا فيه دائما.

حمحم عمر يحاول إخراج كلماته بنبرة ثابتة:
"نور أنا قررت أسافر".

نظرت له بعبوس واستفهام:
"طب وأنا؟!".

عدل من موضع كوبه وتسائل:
"وأنتِ ايه؟!".

ابتسمت باستهزاء وسخرية تُكرر ما قاله:

"أنا ايه! ...والله لا ده أنا بقى اللي المفروض أسألك السؤال ده أنا بالنسبة لك ايه يا عمر؟".

_"ايه اللي دخل الكلام ده بموضوعي يا نور دلوقتي".
ارتفعت نبرة صوتها بشكل ملحوظ لفت انتباه من حولهم:
"لا هو ده أساس الموضوع يا عمر أنا أبقى لك ايه؟! ...ما هو مش عشان أنا أبقى بنت خالتك تبقى ضامن وجودي وإني كده كده موجودة ومش هروح في حتة، ألف ألف وأرجع لها تاني ما هي على طول موجودة يعني بس قسمًا بالله العظيم أدوس على قلبي وأنسى صلة القرابة والعِشرة والحُب اللي بينا".

_"حيلك حيلك في ايه، وطي صوتك ده بس الأول عشان نتفاهم براحة".

رجعت بظهرها للخلف تستند على ظهر كرسيها تُربع ذراعيها أمام صدرها:
"سكت يلا ورِيني مبرر ايه المرة دي يا عمر ...عشان أنت فعلًا كل مرة بمبرر جديد وكل مرة كنت بسكت وأقول مش مهم كده كده بيحبني".

_"ايـــه قطر مش بتفصلي! أنا ناوي أسافر عشان أشتغل وبالفلوس اللي هاخدها هجهز بيها اللي ناقص وأجي أتقدم لك يا نور افهمي بقى!".

رفعت حاجبها الأيسر قائلة بتهكم:
"طب ايه رأيك لو قولت لك مش مصدقاك يا عمر ... واقولك على الأحلى بقى؟ قدامك شهر واحد بس لو عدى منه يوم واحد وأنت مجتش أتقدمت لي؛ يبقى أنسى إنك كنت تعرف واحدة نور قبل كده".

وانتشلت حقيبتها من جانبها ورحلت مُنهية ذلك الحديث.

★★★★★

في نفس الوقت ولكن بالإسكندرية، وقفت روان أمام باب مكتب معتز تأخُذ نفس عميق قبل أن تنوي الدخول؛ ثوانٍ وفتحت الباب ودخلت بثقة فرفع هو أعيُنه من على الأوراق ينظر لمن وثب لمكتبه، زوى ما بين حاجبيه بدهشة حين استدراك أنها من تقف أمامه مُتسائلًا:
"روان! أنتِ جيتِ هنا ازاي".

ابتسمت من صدمته وأجابت:
"عادي جيت في عربية".

_"طيب اقعدي الأول، في حد حصله حاجه في البيت؟!".

جلست على الكرسي مُقابله وأجابت مرة أخرى بذات الابتسامة:
"لا ...مش أنتوا هنا طالبين موظفين؟!".

_"ايوه فعلًا".

_"أنا بقى جيت أتقدم على الوظيفة هنا".

_"هنا! ما الشركة اللي في القاهرة موجودة".

_"بس أنتوا هنا محتاجين أكتر ومش بحب الواسطة الصراحة فده الـ CV بتاعي لو شايف إني مش مناسبة هرجع عادي جدًا".

أخذ منها الملف ونظر بهِ وهو يتحدث:
"لا طبعًا موافقش ازاي، طيب وبالنسبة للسكن هتقعدي فين؟!".

_"في الشقة بتاعتنا القديمة جهزتها مع بابا ومالك لما كانوا هنا".

_"كنتِ موجودة ومجتيش معاهم ليه؟!".

_"كنت لسة بروق الشقة لأنها الصراحة كانت عايزة وقت كبير".

وضع ملفها بعيدًا عنه وأردف:
"نقول مبروك طيب؟ تقدري تستلمي الشغل من بكره".

★★★★★

"مبسوطة وإحنا الاتنين كده يعني؟".

لاحت ابتسامة مُتعبة على ثغرها دون الرد أثر تلقيها للعلاج وبعد أن ألقى بكلماته ونظر لأعلى إلى الكيس الذي يحتوي ذلك العلاج وهو يمُر عبر أنبوب صغير لِيصل إلى أوردته ويصاحبه ألم شديد لا يُريد الإفصاح عنه لِيتسائل بصوت ضعيف:
"حاسة بحاجة؟!".

هزت رأسها بالرفض ثم أرجعت رأسها للخلف مُستندة على ظهر كرسيها مُغمضة الأعيُن، بينما ذلك المرض اللعين يمُر داخل عروقه كأنها نار تحرق بها وألم لا يتحمله ولكنه مُجبر أن يُكمل ما بالكيس كله حتى يفرغ تمامًا.

رفعت رأسها مرة أخرى تنظر له باهتمام:
"أنت كويس؟!".

صمت ثوانٍ حتى أومأ لها بأن كل على ما يُرام فسألته مرة أخرى بقلق:
"شكلك مش بيقول كده".

ربت على يدها وأغمض عيونه بتعب:
"متقلقش أنا كويس".

بعد الانتهاء من الجلسة خرجَا من المشفى عائدين للمنزل وفي الطريق سمعت صوت رنين هاتفها فأجابت سريعًا:
"ايوه يا مالك".

_"هي قريبتك دي عندها ربع مهوي؟!".

ضحكت بخفوت وتعب لِتستفسر:
"ليه ايه اللي حصل؟!".
قص عليها ما حدث في ذلك اليوم الذي تقدم لِخُطبتها،
فردت هي بعد أن فهمت ما حدث:
"أنت وراك حاجه دلوقتي؟!".

_"لا بس ليه؟!".

_"طيب أنا وعُدي مروحين من المستشفى دلوقتي تعالى هناك وأنا هفهمك كل حاجه".

_"مش هعطلك؟!".

_"لا لا تعالى بس".

أنهت معه المُكالمة لِتستمع لرنين آخر من هاتفها فردت وهي تتوقع أنها ستسمع حديث يخُص مالك:
"نعم يا فريدة".

_"عايزة أقولك على حاجة مهمة اوي".

ضحكت مرة أخرى تتوقع ما ستقول ولكن ما ألقت بهِ فريدة ما لم تتوقعه أبدًا وسقط على مسامعها كالصاعقة.

الخاتمة

حدقت بالهاتف بعدم تصديق بعد أن ألقت فريدة على مسامعها من هو المُتسبب في تلك الحادثة التي مات أثرها والديها سقط الهاتف من يدها تحت صدمتها، نظر لها عُدي يتسائل بجهل عما حدث لها:
"مالك يا فيروز في ايه؟!".

لم تُجيب على سؤال وظلت تُحدق أمامها تشعر بالتيبس بكامل جسدها وعدم تصديق لما سمعته؛ فكرر سؤاله مرة أخرى:
"في ايه يا فيروز!!".

ردت دون النظر له بنبرة خافتة:
"خالو محمد هو اللي قتل بابا وماما ".

عقد ما بين حاجبيه بعبوس ودهشة:
"مين اللي قالك الكلام ده!".

التمعت عيناها بالدموع تنهمر على وجنتيها بهدوء

ومازالت الصدمة تحتلها دون التفوه بكلمة واحدة، بينما هو أوقف السيارة على إحدى جانبي الطريق فاقتربت منه سريعًا تدفن وجهها بصدره تعلو صوت شهقاتها وهو يربت على ظهرها ويُمسد على شعرها قائلًا بخفوت:
"ربنا يرحمهم وينتقم منه أشد انتقام أكيد هياخد جزاءه وإن شاء الله حقهم هيرجع يا حبيبتي".

★★★★★

هتف مالك بتذمُر وضيق:
"وهو ده اللي حصل، اللي هو أنتِ تعبانة في دماغك ولا عندها ربع مهوي ..ما أنا مش فاهم!".

ابتسمت فيروز بخفوت وتحدثت بتوضيح:
"أنا هفهمك يا مالك ..فريدة ومعتز لحد ما قبل بابا وماما يموتوا كانوا عايشين معنا في البيت بسبب معاملة أبوهم معهم ومن هما صغيرين كان بيتخانق دايمًا مع طنط شهيرة اللي هي مراته، كانوا كل يوم في خناق حرفيًا وفي الأخر كانت بتخلص إنه يضربها ...وفي مرة اتخانقوا خناقة كبيرة والضرب وقتها كان أقوى وساعتها طنط دخلت المستشفى ساعة، اتنين وماتت كان وقتها فريدة عندها ١٠ سنين تخيل شافت ده كله وهي في

السن ده؛ بقت تخاف من الزعيق والصوت العالي لحد دلوقتي بتعاني من فقدان الثقة في الناس، الحمدلله ربنا رحم طنط من العيشة دي ومن يومها ماما خدت معتز وفريدة يعيشوا عندنا بس، أنا عارفة إن فريدة بتحبك يا مالك بس اللي اقدر أقوله إنها خافت من فكرة الجواز ذات نفسها وإنها تتحمل المسؤولية و ...الصراحة هي قالت لي إنها خايفة تتجوز واحد زي باباها بس أنا متأكدة إنك عمرك ما هتكون زيه وأنا أتكلمت معها بس هي لسة مقلقة خليك وراها بقى".

حك مالك رأسه بحيرة وشفقة:
"طيب هي ليه مصارحتنيش بحاجه زي كده وأنا بجد كنت هتفاهم حاجه زي دي".

رفعت أكتافها بعدم معرفة وأجابت:
"ممكن تكون خافت يا مالك".

في تلك اللحظة خرج عُدي من غرفته مُتجه إلى المطبخ بتعب أثر تلقي ذلك العلاج ليستند على الحائط حتى يصل إليه تحت نظرات مالك المُتعجبة فتساءل سريعًا باقتضاب:
"مالك يا عُدي شكلك تعبان؟!".

أشار له بيده وهو يقول:
"متقلقش أنا كويس تعبان بس شويه".

_"تعبان مالك يعني!".

أردف بنبرة حاول بصعوبة أن تصدُر بثبات:
"متشغلش بالك يا مالك".

وتركهما ووثب للمطبخ، بينما وشوش مالك فيروز بخفوت:
"في ايه يا فيروز أول مرة اشوف عُدي كده؟".

تأملت بهِ بتردد هل تُخبره بما حدث أم توفي بوعدها أنها لن تُخبر أحد بذلك السر فعضت على شفتيها بحيرة، لكن مالك لم ينتظر أكثر من ذلك حتى تُجيب عليه فلحق بعُدي إلى المطبخ يطغى على وجهه القلق والجدية:
"مالك يا عُدي! في ايــه؟!".

أغمض عُدي عيونه بأعتصار وضيق ثم تحدث:
"اهدى يا مالك هقولك .....".

★★★★★

بعد عدة أيام، ردت روان مُجيبة على هاتفها فكان المُتصل نور شقيقتها:
"ايه يا حبيبتي عامله ايه".

_"كله زي الفل يا روني أنتِ ايه الأخبار عندك؟".

عدلت خُصلات شعرها أمام المرآة وتُعيد هندمة ثيابها:
"والله الدنيا ماشية اهيه والشغل الصراحة سهل، أنتِ عامله ايه مع عمر".

صمتت لبرهة قبل أن تُجيب وأخذت نفس ثم أخرجته ببطئ وحزن دفين:
"عمر عمل اللي في دماغه وسافر يا روان بعد ما قولت له إني مش موافقة ويجي يتقدم لي مشي وسابني عادي!".

قلبت أعيُنها بالمكان كله تُردف بنبرة بدى بها التردد:
"معلش يا حبيبتي ..أنتِ عارفة إن عمر بيحبك أكيد ومش هيسيبك كده التمسي ليه عُذر ونستنى لحد ما يرجع ونفهم في ايه".

_"يا روان ده أنا برن عليه مش بيرد عُذر ايه اللي اديله بقولك سابني وسافر".

_"اهدي يا نور اهدي عمر بيحبك والله العظيم .. أكيد في حاجه يعني".

مسحت نور دموعها التي تتساقط على وجنتيها وردت بثبات كاذب:
"الأيام جاية وهنشوف ايه اللي هحصل هيروح فين يعني!".

سمعت روان صوت صراخ باسمها من أسفل منزلها فكانت فريدة تصرخ صائحة بحنق منها:
"يا زفتة اللي اسمك روان".

_"طيب سلام دلوقتي يا نور عشان فريدة تحت البيت هبقى اكلمك تاني اكيد".

أغلقت الهاتف ونهضت سريعًا لِتتوجه للأسفل وحين رأتها هتفت بتبرم:
"خلاص خلاص فضحتيني في المنطقة يخرب بيتك".

ربعت ذراعيها أمام صدرها بسخط:
"ما أنا فضلت أرن عليكِ وأنتِ مشغول فناديت يمكن تسمعي، يلا بقى زهقتيني".

_"خلاص متزوقيش ..يلا".

ثم ألقت بسؤالها:
_"معتز مش جاي صح؟!".

"متخافيش مش جاي هنروح نقعد ولما نروح هيجي يوصلنا".

وذهبَا إلى إحدى المقاهي العامة يتسامرون في أشياء عدة حتى وجدَا معتز يجلس معهم بهدوء:
"عاملين ايه يا بنات؟!".

بلعت روان ريقها ببعض التوتر وأجابت:
"الحمدلله تمام".

_"لقيت نفسي قريب من المكان قولت اجي أقعد معاكوا شويه ونروح مع بعض".

عدلت من خُصلات شعرها بابتسامة مترددة ثم أومات برأسها، فمال معتز برأسه قليلًا يتمعن بالنظر بها يتسائل:
"مالك يا روان؟".

رفعت أعيُنها تنظر له بانتباه واتسعت الابتسامة على ثغرها تهز رأسها يُمنة ويسرى:
"مفيش حاجه، هتطلب ايه صح؟".

_"نفس اللي أنتِ تطلبتيهِ بالظبط".

رفعت فريدة شفتها العُليا بتعجب وضيق:
"اشمعنا هي يا أستاذ؟".

استند بمرفقيه على الطاولة واضعًا كفه على وجنته يستند عليه والابتسامة مرتسمة على ثغره:
"عشان بحب ذوقها".

★★★★★

طرق عُدي على باب غرفة فيروز برفق حتى سمع صوتها تأذن له بالدخول فدلف لِيجدها تجلس على

الفراش مُمسكة بهاتفها وحين دخل حدقت بهِ باهتمام:
"نعم يا عُدي".

_"بتعملي حاجه مهمة؟!".

عقد ما بين حاجبيها بتساؤل:
"لا، أصلا مفيش حاجه أعملها".

أومأ برأسه واقترب من الفراش وتمتد فوقه حتى وضع رأسه على فخذها بارتياح؛ فتسائلت مرة أخرى بتعجب:
"أنت كويس؟!".

هز رأسه ثانيًا بالموافقة وأغمض جفونه باسترخاء كأنه سينام قائلًا بنبرة منخفضة:
"متقلقيش أنا كويس، حابب بس افضل جنبك عشان بتوحشيني على طول".

مدت أناملها تتغلغل داخل خُصلات شعره وتبتسم بخفوت:
"اشمعنا دلوقتي؟".

رفع نظره لها يُجيب ضاحكًا:
"مش خلاص عرفتِ كل حاجه! وأنتِ لسه بتحبيني اسيبك ليه دلوقتي؟".

انخفضت لمستواه وطبعت قبلة على جبينه وردت:
"وعمري ما بطلت أحبك أبدًا".

لاحت ابتسامة على ثغره ثم أردف:
"خليني بقى جنبك حبة".

فألقت بسؤالها بمشاكسة:
"حبة قد ايه يعني؟".

لِيُديم النظر لها مرة أخرى:
"حبة لحد ما أموت".

وضعت كفها على وجنته تنطق سريعًا حين ألقى بجملته:
"بعد الشر عليك يا حبيبي، أنت وعدني أنك مش هتسبني".

أغمض أعيُنه مُجددًا يأخذ نفسًا عميقًا دون أن يرد عليها ومازالت الابتسامة مرتسمة على وجهه.

★★★★★

سمعت فريدة نقرات على الباب؛ فنهضت سريعًا تُلبي ذلك النداء وحين فتحت وجد مالك يقف أمامها والابتسامة العريضة تتسع على شفتها، حملقت بهِ بصدمة لا تُصدق أنه يقف أمامه فأغلقت الباب مرة أخرى بقوة وهو مازال واقفًا فعض كلتا شفتها باحراج من فعلتها وظل ثوانٍ حتى فُتح الباب ثانيًا فكان معتز، أفسح له الطريق للدخول فتقدم متوجه إلى غرفة المعيشة يهتف بقولهِ:
"نادي لي العبيطة اللي جوه دي عشان نعرف نتفاهم بهدوء".

كبح معتز ضحكاته وأومأ له يفعل مثلما أخبره؛ دقائق مرت لِيجدها تجلس مقابله تنظر للأرض بحرج:
"أول مرة أعرف إن الأرض عندنا شكلها حلو اوي كده".

_"بصي لي يا ختي بصي لي".

حمحمت بحرج ثم نظرت له ببراءة:
"نعم؟".

تنفس بعمق ثم تحدث بهدوء:
"مقولتيش ليه من الأول يا فريدة، أنا حقيقي مكنتش أعرف وأكيد هبقى مقدر ده ...فريدة أنا بحبك بجد أنا مستعد أعمل لك أي شيء واستناكِ العمر كله".

لاحظ بعينها لامعة وأناملها التي تعقدها ببعضها ونطقت بنبرة مترددة:
"مش هتزهق مني أو تبطل تحبني؟".

_"اللي يزهق الأول هو الخسران، اتفقنا؟".

ضحكت رُغمًا عنها وتفوهت:
"اتفقنا".

لِينطق بعدها بحُب:
"مش هقدر أعيش من غير الأكسجين اللي بتنفس منه يا أكسجين حياتي".

★★★★★

بعد شهر، أدرف حسن يوجه سؤاله إلى زينب:
"كلمتِ روان النهاردة؟".

_"بقالها تلات أيام مكلمتنيش والله".

هتف بها بحدة بلوم:
"وأنتِ ازاي متكلمهاش ده كله!".

_"كل مرة ارن عليها موبايلها يبقى مقفول أو مش بترد قولت تبقى مشغولة في الشغل ولما تبقى قاضية هتكلمني".

_"ولو بردوه يا زينب كان لازم تكلميها".

جلست نور معهم تقول:
"بعت لها بردوه ومردتش عليا".

لم تُكمل جملتها حتى وجدت عمر يقف أمامهم ويُلقي السلام وحين تلاقت أعيُنهم ببعضهما نهضت بسرعة كمن لدغتها أفعى صائحة بصوتٍ هادر:
"أنت ايه اللي جابك هنا".

مال عمر بنظره لزينب التي تجلس خلف نور فكانت تقف كالحائل بينهما:
"ما تقولي حاجه يا خالتي مش كده!".

رفعت سبابتها أمام وجهه وهتفت بحدة:
"ملكش دعوة بأمي يا عمر ولا ليك دعوة بيا".

سأل حسن بتعجب من طريقة حديثها:
"في ايه يا نور مالك؟!".

_"أنا مش عايزة أتكلم مع البني آدم ده تاني".

ثم ربعت ذراعيها أمام صدرها ونظرت للناحية الأخرى بسخط، فتحدث عمر بتفسير:
"طب وخالتك اللي واقفة برا دي وشايلة بوكيه الورد لحضرتك".

جلى التشنج على ملامحها وجهها بعبوس منتظرة توضيح منه:
"بوكيه ورد وخالتي! أنت جاي ليه أصلا؟".

صاح عمر بصوتٍ مُرتفع يُنادي على والدته بالخارج:
"يا ماما ..يا ماما".

دخلت والدته تحمل باقة الورود الحمراء ترد بضجر وتبرم:
"بس يا واد محدش قالك إني مُت برا يعني!".

_"خالتو هو مش ده اللي قولتِ لي إنه سافر ومش عايزاني!".

أجابت عليها بنبرة ضاحكة:
"سافر ايه يا بت ده كان نايم جو ساعتها!، عامله ايه يا زينب".

ونظرت لزينب التي تجلس بالخلف وتُشاهد كل هذا تحت صدمة نور مما سمعته للتو بعدم تصديق:
"الحمدلله في نعمة يا حبيبتي".

صاح عمر مُجددًا بضيق يوجه حديثه لحسن:
"بس بقى يا ستي، عمي حسن أنا كنت عايز استلف منك حاجه كده".

_"حاجه ايه يا ابني؟".

نظر لنور مُبتسمًا بحُب مُجيب:
"هستلف منك نور شويه لآخر العمر بس يعني".

وأنهى حديثه بغمزة؛ فصرخت هي بدورها حين سمعت ما قاله بسخطٍ حانق:
"أنا مش موافقة، وأنتِ يا خالتي بتكدبي عليا وتقولي لي سافر! وهو مخمود جوه!".

_"كنت مطبق ساعتها في الشغل الله!".

_"ولو يعني ايه بردوه تكدب عليا وليه أصلا".

أخفض أعيُنه ينظر للأرض يُمثل الحزن:
"كنت عايزة أعرف أنا فارق بالنسبة ليكِ ولا لا بس!".

رفعت حاجبها الأيسر بجمود قائلة:
"والله يا أخويا!".

قاطعها بحدة صائحًا:

"بعد اذنك أنا مش أخوكِ!!".

_"مش هتجوزك يا عمر بعينك!".

وضربت أنفه بأصابعها، فصاح بسخط:
"يا خالتي قولي حاجه؟!".

_"أنا موافقة يا حبيبي".

حملقت بها بصدمة وقالت:
"بقى كده يا ماما".

_"يا بت هتضحكي عليا ولا على نفسك ده أنتِ كنتِ بتعيطي كل يوم عشان سافرت ومش برد عليكِ".

فارتفع صوتها تتسائل:
"محصلش!، ه ...هو مين اللي قالك".

اقترب منها مُبتسمًا ثم أردف:
"مش هقولك، يلا يلا المأذون واقف مستني برا بقاله كتير".

ضرب حسن كف على كف مما يسمعه وعدم تصديق لما يحدث الآن ثم تفوه:
"لا حول ولا قوة إلا بالله".

_"يا شيـخـنا".

دلف المأذون يقف أمامٍ وتمر ثوانٍ معدودة لا يدرك أحد ما يحدث حتى انبثق كلًا من معتزٍ وفريدة وروان، يهتف معتز بابتسامة:
"هو مينفعش نخليهم اتنين؟".

_"لا كله إلا دي".

صاح حسن بهذا عند دخول ثلاثتهم، فزمجرت نور بحنق:
"يعني أنت خايف على روان من معتز ومش خايف عليا من الأهبل اللي واقف جمبي؟".

_"أنا مش خايف من معتز أنا خايف من البلوة أخته".

ردت فريدة بتأثر مقتربة منه قليلًا:

"ليه بس كده يا حجوج ده أنا اللي كنت محافظة على بنتك وهي معنا".

_"اه لدرجة أنها بقت شبهك اهيه".

امسكت بفك روان تنظر إليها ببلاهة:
"مالها البت يا حاج ما هي قمر وزي الفل اهيه، وعايزنها للواد الغلبان زيزو ده هيبقوا كابل قمر متجرحش قلبين صغننين لسه في بداية حياتهم...".

زفر بضيق وتفكير ثم نطق بهدوء:
"خلاص موافق بس مفيش كتب الكتاب ولا أي حاجه دلوقتي بعد أذنك يا شيخنا الشباب بس بتحب تتهور الأيام دي".

تساءلت زينب بتعجب وتتفحص الجميع بأعيُنها:
"اومال فين مالك مش كان سافر إسكندرية عشان يا روان؟".

أجابت فريدة عليها سريعًا:
"ايوه حصل حتى هو جيه معنا بس جاله تليفون ومشي

بسرعة مش عارفة ليه!".

★★★★★

في منزل عُدي، صاحت فيروز بصوت عالي حتى يسمعها:
"يلا يا عُدي حضرت الأكل".

لم تسمع تلبية النداء ومرّت ثوانٍ لِتسمع صوت شيء يرتطم بالأرض بقوة من داخل غرفة عُدي؛ فهرعت سريعًا لتعرف ما حدث وقلبها كاد يخرج من مكانه من الفزع، فتحت الباب بيد مرتجفة ولِتجد أول ما يُقابل عيناها هو جسد عُدي المُلقى على الأرض أثر الإغماء؛ جحظت حدقتها هلعًا وذعر وتنخفض لمستواه على ركبتيها تحاول إفاقته بشفتان مرتعشتان ضربته على وجنته:
"عُدي ...قوم بالله عليك يا عُدي".

ولم تجد أي استجابة منه فنهضت تبحث عن هاتفها سريعًا لِتتصل بمالك:
"ايوه يا مالك ...الحقني بسرعة عُدي".

_"ماله عُدي؟ في ايه!!".

حاولت الإيجاب ولكن شهقاتها منعتها فصدرت كلماتها مُتقطعة:
"عُـ ...عُدي".

قاطعها وهو يتجه إلى سيارته بسرعة:
"خلاص اهدي أنا جاي دلوقتي، متقلقيش".

لم يمر الكثير حتى سمعت طرقات مالك على الباب فلقد أتى سريعًا لِقُرب المنزل منهم فتحت له لِيتجه على عجلة لغرفته وفيروز ورائه:
"حاولت افوقه كتير بس من مفيش فايدة ومش عارفة أعمل ايه كلمتك أنت على طول".

تأكد من نبضه فوجده ضعيف جدًا فهمّ بالنهوض يحاول حمله هاتفًا:
"حاولي تساعديني ننزل بيه تحت في العربية ...لازم يتنقل للمستشفى بسرعة".

★★★★★

ومر كل شيء كما يلزم بالمشفى وكان على ما يُرام، فعلوا الأطباء ما بقدر استطاعتهم حتى أفاق لِيجد نفسه

بالمستشفى وبجانبه فيروز لا تتوقف عن النحيب فقال بنبرة خافتة:
"متقلقيش يا حبيبتي أنا كويس كفاية عياط".

مسحت وجنتيها واقترب منه بلهفة تتفحص وجهه بأنه بخير كأنه أُصيب بوجهه:
"أنت كويس صح، حاسس بحاجه؟".

سعل بقوة يُربت على يدها ثم أردف بوهن وتعب:
"متقلقيش".

وهُنا دلف الطبيب وبيده بعض الأوراق مُتحدث:
"للأسف جلسات الكيماوي مجبتش أي نتيجة والمرض اتملك منك والكلام ده قولته ليك لما عملت التحاليل آخر مرة بس أنت اصريت تكمل؛ فلازم تفضل هنا كام يوم تحت المُلاحظة".

_"مقولتش ليه إن التحاليل طلعت يا عُدي!".

نبست بها فيروز بلوم بينما دخل مالك يستمع لكل ما قاله الطبيب يحاول تكذيبه داخل عقله:

"أكيد هيبقى كويس يا دكتور صح؟".
أومأ له الطبيب بيأس قائلًا وهو ينبثق للخارج:
"إن شاء الله يا مالك".

_"فيروز أنا آسف على كل اللي عملته معاكِ آسف إني خبيت عليكِ ده كله وكان سبب في بُعدي عنك سنين وأنا مكنتش أعرف ابعد عنك يوم أنا فعلًا قسيت عليكِ مكنتش عايز تشوفيني في الحالة دي بس مبسوط وأنا شايفك قدامي، عمري ما بطلت أحبك حتى لو لآخر نفس فيا لسه بحبك ..مش عايز أموت وأنتِ زعلانة مني".

كانت العبرات تنهمر على وجنتيها وهي تستمع لكل حرفًا يقوله لا تُريد سماع تلك الكلمات كل ما تُريده أن يبقى بجانبها حتى لو زال حبها من قلبه، هزت رأسها بقوة تحاول إخراج ما قاله من عقلها:
"لا يا عُدي أنت هترجع معايا البيت ومش هتسيبني وهنعيش سوا أنا وأنت وابننا اللي جاي".

ثم وضعت يدها على بطنها بابتسامة مختلطة بالحزن، فضحك هو بفرحة أثر ما سمعه وتمعن النظر بها بحب واضعًا يده على شعرها:

"موعدكيش أني أفضل عايش لحد ما يجي على الدنيا، بس قولي له إني بحبك اوي وبحب أي حاجه تيجي منك".

لفظ أنفاسه الأخيرة وهو يُعلق أعيُنه عليها والابتسامة لا تُفارق ثغره فكان آخر ما رآها هو وجهها.

★★★★★

بعد مرور سبع سنوات، كانت تجثو على ركبتيها أمام إحدى المقابر تتلو من كتاب الله وبجانبها طفلان في عمر السابعة يُشبهان بعضهما إلى حد كبير فكان الولد يقف ثابتًا مُتأثر ببكاء والدته ولكن لا يُظهر ذلك أما عن الفتاة فكانت تجلس بجانب والدتها وتبكي تأثرًا بذلك الموقف، وعندما انتهت فيروز من ترتيل الأيات وقفت صامدة تسمح دموعها بثابت تدعو في سرها ثم أمسكت بيد كلا الطفلان متوجه للخارج، فكانَا طفليها فلقد عانت في فترة حملها بهما بسبب أخذها لذلك العلاج المُميت فكان من الصعب الأنجاب في ذلك الوقت وحالتها هكذا فكانت الولادة مستعصية، استقلت إحدى سيارات الأجرى ذاهبة لمنزل عمها؛ فهم جميعًا يجتمعون كل يوم جمعة هناك.

بعد ساعتين، كان الجميع جالسًا يتحدثون في أمور عادية أما الأطفال كانوا يعبثون بأحدى الغرف يزعموا لتخريبها، بينما تسائل مالك بهدوء:
"عديت عليكِ يا فيروز انهارده بس مكنتيش موجودة!".

أجابته سريعًا قائلة:
"ما أنت عارف إني بروح كل جمعة أزور عُدي".

_"ربنا يرحمه ويغفر له".

فردد كل ورائه بقول "آمين"، ولكن نظر معتز حوله باحثًا بأعيُنه على الأطفال وأين اختفوا ثم صاح:
"هو الأولاد راحوا فين دول ملهومش صوت!".

نهض الكل مرة واحدة يبحثون على أولائك الأطفال المشغبين حتى وجدهم في غرفة مالك القديمة يعبثون في كتبه الدراسية وبعض الأقلام المُبعثرة التي لونوا بها وجوههم بينما الكُبار يقفون بصدمة بما حدث بالغرفة ومالك أُصيب بجلطة فجلى التشنج على وجهه بتحسر على ما جرى بأشياءه وغرفته العزيزة؛ لِيهتف عمر بصرامة مصطنعة:
"مين اللي عمل كده في حاجه عمو مالك!".

أشار سليم على تيام بسرعة صائحًا:
"مش أنا ده تيام".

فنظر عمر لطفله بسخط يقول:
"بقى كده يا تيام!".

هز تيام رأسه لليمين واليسار بالرفض مُشيرًا على جميلة:
"مش أنا دي جميلة".

أومأت فيروز برأسها تنطق بلا مبالاة:
"لا أنا عارفة إني مربتش".

_"مش أنا يا ماما دي وعد اللي عملت كده هي السبب".

أردف معتز بفخر من فعل طفلته:
"أنا مبهور ببنتي الحقيقة جدعة يا كتكوتي خالو مالك يستاهل الصراحة".

تحدثت وعد بنبرة خافتة:
"الصراحة مش أنا يا بابا ده سليم".

ردت فيروز مرة أخرى بضحكة تهكمية:
"مش قولتلكوا إني مربتش؟".

صاح مالك بسخط وصوت هادر ويكسو على وجهه الحُمرة من شدة الغضب:
"وربنا أنتوا كلكوا متربتوش".

اقتربت منه جميلة ببراءة:
"عمو مالك أنا هفهمك".

_"عمو مالك هينفخكوا كلكوا يا حبايبي، مين يبدأ الأول".

وكأن جملته كانت الأنذار لهم وحين أُلقت على مسامعهم ركضوا هاربين خوفًا منه ويصرخون بالنجدة لِينقذهم أحد، وقبل أن يهرول خلفهم استوقفه صراخ فريدة من الخارج فوثب الجميع لِيعرفوا ماذا يحدث ويقف مالك في المقدمة وحينها ركضت فريدة تعانقه بحُب وتهتف بفرحة:
"هجيب عُدي يا مالك".

ابتعد عنها قليلًا بجهل يحاول فهم ما قالته بينما حدق الجميع بها بفرحة عارمة:
"عُدي مين؟!".

نطق معتز بتهكم مُقتربًا من شقيقته ينظر له شرزًا:
"غبي".

_"أنا حامل يا مالك!".

حملق بها بعدم استيعاب لما ألقت بهِ للتو وأردف بصوتِ خفيض مُقتربًا منها:
"يعني أنا هبقى بابا!".

هزت رأسها عدة مرات بالموافقة والابتسامة لا تُفارق ثغرها:
"هتبقى أجمل بابا في دنيا".

عانقها بقوة يُعبر عن مدى فرحته بذلك الخبر فهمست له:
"بجد مش عارفة أقولك ايه عشان استحملتني سبع سنين".

فنطق بنفس نبرتها مُقتربًا من أذُنها:
"أنا لسه على اتفقنا اللي يزهق الأول هو الخسران".

"تمت بحمد الله"